القسم الأول

فِي أَخْبَارِ المَجْنُون

وَفِيهِ خَمْسَةَ عَشَرَ فَصْلًا

أخبار المجنون

مقدمة المؤلف

الحمدُ لله الذى قرّب إلى جَنابه مَن أحَبّ ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله والصَّحْب ، **وبعـد** :

فهذا تعليق سميتُه بـ « **بَسطِ سامِع المسامر فى أخبار مجنون بنى عامر** » الذى ضُرِبَتْ به الأمثال فى العِشق من غير شك ، واشتهر به اشتهار « **قِفَانَبْك** »[1] . وهو أعظم من نُسِبَ إليه « **حكم سلطان الحب** » ، وقد جاءت إليه محبوبته « **ليلى** » يومًا وهو يقول : لَيْلَىٰ ، لَيْلىٰ ، ويُلْقَىٰ الثلج على صدره فتُذيبه حرارةُ فؤاده !؛ فقالت له : يا قيسُ ، أنا ليلى ؛ فنظر إليها وقال لها : إليك عنى ! فإن حبك شغلنى عنك !.

وهذا ألطف حال ظهْر فى هذا الشأن من « **سلطان الحب** » لأن صورتَها الظاهرة لمَّا شاهدها حالت بينه وبين ما كان فى خياله منها ، فإن خيالَها ألطفُ منها فى عينه ، فلما أحسَّ بفقد ذلك اللطف لمشاهدتها ، قال لها : إليك عنى !!

وفى ذلك قيل :

١ - وعِزّةِ الحبِّ إن الحُبَّ أشهدنى عينَ الحبيب الذى أهواه فى خَلَدى
٢ - بحيث لو ظهرت فى الحِسِّ صورتُه لعين حُبِّىَ لم أنقص ولم أزد

□ لماذا وضع المؤلف هذا الكتاب ؟

وضعته تذكرة يتعظ بها المتعظ ، ويتيقظ منها اليقظ ، ويتبصر بها المحب ، ويصيب منها الوَصِب[2]، ويستحليها الشاعر ، ويستلذّها النَّاثِر ، ويرتقى بها أصحابُ اللغة رُتْبةً سَنِّية ، ويحتج بها النحاةُ على العَرَبية ، وَيَسْتشهدُ بها أربابُ المعانى والآداب فى المهمات ، ويستغنى بها أهلُ الأصول والمشروعات ، سائلاً من الله حُسنَ القبول ، ورتبته على فصول .

---

(١) معلقة امرىء القيس التى مطلعها :

قفا نَبكِ من ذكرى حَبيبٍ ومَنزِل
بسقط اللّوى بين الدّخول فحوْمَلِ

ارجع إلى شرح المعلقات بتحقيقى إصدار « **دار الطلائع** » .

(٢) الوَصِب : المريض الذى يجد وجَعًا .

■ الفصل الأول ■

فى اختلاف العلماء فى اسمه ونسبه

□ **قد اختلف العلماء فى اسمه ونسبه :**

□ **أخبرنا** أبو المحاسن يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن الصالحى ، سماعًا عليه ببستانه بالسهم الأعلى بها ، عن جده ، أنا الصلاح بن أبى عمر (ح) .

□ وأباح لى عاليًا أبو الحسن على بن محمد المقرى شفاهًا ، عن الصلاح بن أبى عمر عمومًا ، أنا الفخر بن البخارى ، أنا أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه ، أنا محمد ابن ناصر ، أنا أحمد بن محمد البخارى ، ثنا أبو محمد المحسن بن على الجوهرى (ح) .

□ **قال ابن الجوزى** : وأنا المبارك بن عبد الجبار ، أنا أبو القاسم على بن الحسن التنوخى ، أنا أبو عمر بن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، قال : قال ابن دَأْب[1]، عن رباح بن حبيب العامرى : **هو « قيس بن الملوح بن مُزاحم »** .

□ **وقال أبو عمرو الشيبانى** : أخبرنى أبو بكر الوالبى ، عن بعض ولد على بن أبى طالب : هو : **« قيس بن مُعاذ العَقيلى »** .

وقال أبو العالية : هو **« الأقرع بن معاذ »** .

□ **هل كان فى بنى عامر ثلاثة مجانين ؟ وما وجه الصواب فى هذا الخلاف ؟**

□ وبه إلى ابن الجوزى ، ثنا محمد بن عبد الباقى ، أنا على بن المحسن ، ثنا أبو عمر بن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، أخبرنى أحمد بن حرب ، أخبرنى ابن أبى كريم ، ثنا قلابة العامرى ، عن القاسم بن سويد الجرمى ، قال : كان فى بنى عامر ثلاثة مجانين :

(١) مُعَاذ ليلى ، وهو معاذ بن كليب أحد بنى عامر بن عبيد .

(٢) وقيس بن معاذ .

---

(١) ابن دأب هو : عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب كان عالمًا بأخبار العرب وأشعارهم ، وكان يضع بالمدينة الشعر وأحاديث السمر ، وكلامًا ينسب للعرب (انظر ترجمته فى التعليق على كتاب التاج المنسوب للجاحظ ص ١١٦ – ١١٧) .

(٣) ومهدى بن الملوح الجعدى .

قلت : الصواب أنه « **قيس بن الملوح** »[1] والله أعلم .

■ الفصـــل الثـــانى ■
فـى نسـب ليلى وكُنْيَتُها

□ فأما ليلى فاختلف فى نسبها وكنيتها :

□ أخبرنا أبو البقاء محمد بن العماد العمرى ، أنا أبو الوفاء إبراهيم بن محمد الحافظ ، عن أبى بكر بن المحب ، أنا أبو محمد المطعم ، أخبرتنا كريمة الزاهدة ، أنا ابن باق ، أنا النرسى ، أنا التنوخى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن المَرْزُبَان ، أنا محمد بن خلف ، أنا أبو العباس الأحول ، **قال** : قال لى على بن معمر بن المثنى :

إنَّ محبوبة مجنون بنى عامر التى كَلِف بها هى : **ليلى بنت مهدى بن سعد بن مهدى بن ربيعة بن الحريش** .

وقال بعضهم : « **ليلى بنت ورد** » من بنى ربيعة .

وفى كنيتها قولان :

أحدهما : « **أم مالك** » ، وبذلك كناها المجنون فى شعره فى عدة قصائد ، **وهو الصواب** .

والثانى : « **أم عمرو** » قلت : وفى بعض شعر المجنون « **أم عمرو** » على ما يأتى ، وهى من بنى عامر ، ولهذا يقال لها : **ليلى العامرية** .

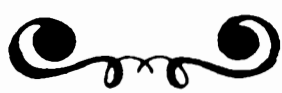

---

(١) قال أبو الفرج الأصبهانى : هو – على ما يقوله من صَحّح نسبه وحديثه – « **قيس** » ، وقيل : « **مهدى** » . والصحيح : أنه « **قيس بن الملوَّح بن مزاحم بن قيس بن عدى بن ربيعة بن جعدةَ بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة** » .

■ الفصل الثالث ■
فى سياق بداية معرفة المجنون بليلى

□ كيف نشأت الصلة بين قيس وليلى ؟

وقد اختلفوا فى ذلك ونحن نذكره :

القول الأول :

□ أخبرنا أبو الحسن على بن البهاء البغدادى ، أنا أبو الفرج بن الطحان ، أنا أبو عمر بن قدامة ، أنا أبو الحسن السعدى ، أنبأنا أبو الفرج البكرى ، أنا أبو الفضل ابن ناصر ، أنا أحمد بن محمد البخارى ، أنا أبو محمد الجوهرى ، أنا أبو عمر بن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، أخبرنى أبو محمد البلخى ، أخبرنى عبد العزيز بن صالح ، عن أبيه ، عن ابن دَأْب ، **قال** : حدثنى رجل من بنى عامر يقال له : رباح بن حبيب ، قال : كان فى بنى عامر جارية من أجمل النساء ، لها عقل وأدب ، يقال لها : ليلى ، فبلغ المجنونَ خبرُها ، وما هى عليه من الجمال والعقل ، وكان صَبًّا[1] بمحادثة النساء ، فعَمَد إلى أحسن ثيابه فلَبسها وتهيّأ إليها ، فلما جلس إليها وتحدث بين يديها أعجبته ووقعت بقلبه ، فظَلَّ يَومَه ذاك يحدثها حتى أمسى ، فانصرف إلى أهله ، فبات بأطول ليلة حتى إذا أصبح مضى إليها ، فلم يَزَلْ عندها حتى أمسى ثم انصرف ، فبات بأطول من ليلته الأولى ، وجعل يحاول أن يغمض فلم يقدر على ذلك ، فأنشأ يقول :

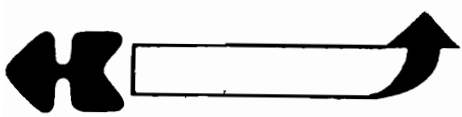

(١) صَبًا : أى مشتاقا ؛ يقال : صَبّ إليه صبابة : رق واشتاق فهو صَبٌّ وهى صَبّةٌ .

١ – نَهارِى نهارُ الناسِ حتى إذا بَدا لى الليل هَزَّتنى إليك المضاجع
٢ – أُقَضّى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى والهمَّ بالليل جامع[1]

وأدام زيارتها وترك إتيان كلٌ من كان يأتيه ، فوقع فى قلبها مثلُ الذى وقع فى قلبه لها .

امتحان قاسٍ !؛ وعهد ووعد

فجاء يومًا يحدثها ، فجعلت تعرض عنه ، وتُقبل على غيره تريد أن تمتحنَه ، وتعلم ما لها فى قلبه ، فلما رأى ذلك منها اشتد قلبه وجزع ، فلما خافت عليه أقبلت إليه ، فقالت :

كِلانَا مُظهِر للناسِ بُغضًا وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ

فسُرِّىَ عنه ، فقالت : إنما أردتُ أن أمتحنَك ، والذى لك عندى أكثر من الذى لى عندك ، وأنا معطيةٌ اللهَ – عز وجل – عهدًا إن أنا جالستُ بعد يومِى هذا رجلًا سِواك حتى أذوقَ الموت إلا أن أُكرَهَ على ذلك ، فانصرف وهو أسر الناس ، فأنشأ يقول :

محا حُبُّها حُبَّ الأُولى كنّ قبلها

---

(١) ذكر داود الأنطاكى فى تزيين الأسواق هذين البيتين من قصيدة طويلة بلفظ :

١ – نهارى نهار الساهين صبابةً وليلىَ تنبو فيه عنى المضاجع
٢ – وقد كنت قبل اليوم خِلْوًا وإنما تقسم بين الهالكين المصارع

ثم عقب عليهما بقوله : وهذان البيتان فى غير رواية أبى علىّ :

١ – نهارى نهارُ الناس حتى إذا بدا لى الليلُ هزّتنى إليك المضاجع
٢ – أقضى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى بالليل والهمّ جامع

وصرح فى « نزهة العشاق » بذلك ، وقال : إن المجنون كان يتمثل بهما وهذا هو الصحيح ؛ فإنهما متعاصران حتى إن صاحب الأغانى نقل تلاقيهما ذات يوم . ويُروَى – وهو الأصح – هَزّتنى – المضاجع ، أى : كرهتنى وطردتنى .

١ - أَظُنُّ هواها تاركى بِمَضِلّة من الأرض لا مالٌ لدىّ ولا أهلُ
٢ - ولا أحدٌ أَقْضِى إليه وصيّتى ولا وارثٌ إلا المطيةَ والرَّحْلُ[1]
٣ - محا حبُّها حبَّ الأولى كُنَّ قبلها وحلّت مكانًا لم يكن حُلّ من قبلُ

□ وقفة مع اللغويات :

□ **قال ابن الجوزى** : قد ذكرنا فى هذه الحكاية قوله : * « **هزتنى إليك المضاجع** » * وما روى لنا إلا بالزاى ، ولا سمعنا أحدًا يذكره إلا كذلك !.

ثم رأينا أبا الفتح بن جِنّى قد ذكره بالراء فقال : * **هَرَّتنى إليك المضاجع** * قال : والزاى تصحيف عندهم . قال : ويقال : هَرّ الشىءَ يهرّ ويهره إذا كرهه ، فمعنى هرّتنى : كَرِهَتْنى فنبَتْ بى .

وقوله : والهمَّ منصوب على أنه مفعول معه .

وقوله بِمَضِلّة : المَضِلة يعنى - بفتح الميم - المكان الذى يضل الإنسان فيه الطريق .

وقوله : محا حُبّها : من المحو ؛ وهو الإزالة ، وحبُّها مرفوع على أنه فاعل ، وحُبَّ الثانى منصوب على أنه مفعول ، والأُولى جمع أولى .

وقوله : من قبلُ مبنى على الضم لا يتغير آخره لأنه لو تغير لكان مجرورًا ، قال الله - عز وجَلّ : ﴿ ... **لله الأمر من قبلُ ومن بعد** ... ﴾ [الروم : ٤].

وفى بداية معرفتهما قول آخر :

القول الثانى :

□ وبهذا السند إلى أبى الفرج البكرى ، أنا محمد بن ناصر ، أنا أحمد بن محمد البخارى ، أنا أبو محمد الجوهرى « ح » .

---

(١) **قال داود** : فى رواية هذا البيت : * **ولا صاحب إلا المطية والرحل** * وهذا أصح وأنسب لأن المطية لا ترث وتستصحب كما جاء فى كلام العرب :

إن الحمار مع الحمار مطيةٌ وإذا خلوتَ به فبئس الصاحبُ

ورواه صاحب الأغانى « **أفضى إليه وصيتى** » وأفضى لا تتعدى بنفسها يقال : أفضيت إليه بسرى . والصواب أقضى إليه بالقاف . يقال : قضيت إليه الأمر ، أى أنهيته إليه وأبلغته .

قال أبو الفرج : وأخبرنا محمد بن عبد الباقى ، قال : أنبأنا على بن المحسن ، قالا : أنا أبو عمر بن حيويه ، قال : ثنا محمد بن خلف ، قال : قال العُمَرى ، عن لقيط ابن بكر المحاربى ، أن المجنون عَلِقَ ليلى علاقة الصّبا ، وذلك أنهما كانا صغيرين يرعيان أغنامًا لقومهما ، فعَلِق كل واحد منهما صاحبَه ، إلا أن المجنون كان أكبرَ منها ، فلم يزالا على ذلك حتى كبرا ، فلما عُلِمَ بأمرهما حُجِبَتْ ليلى عنه ، فزال عقلُه ، وفى ذلك يقول :

١ - تعلقتُ ليلىٰ وهى ذاتُ ذُؤَابَـةٍ ولم يبدُ لِلْأترابِ من ثَدْيها حَجْمُ

٢ - صغيرين نرعى البَهْم ياليتَ أننـا إلى اليوم لم نكبرُ ولم تكبر البَهْمُ

□ وقفـة مـع اللغويـات :

قوله : تعلّقتُ بالتشديد ، والذّؤابة بالهمز ذؤابة الشعر ، والأتراب(*): عظام الصدر التى عليها الثدى ، والبَهْمُ بفتح الباء صِغارُ المَعْزَىٰ ؛ الواحدة بَهْمَة ، وأما البُهُم فالسُّود . وأما قوله - عليه الصلاة والسلام - فى أشراط الساعة : « **وترى الحفاة العُراة رِعَاء الشاة والبَهْمِ** » فروى بالوجهين(١) .

□ وفى بدء معرفتهما قول ثالث :

□ وبهذا السند إلى أبى الفرج البكرى ، أنا أبو الفضل بن ناصر ، أنا المبارك ابن عبد الجبار ، أنا أبو القاسم التنوخى ، أنا أبو عمر بن حيويه ، أنا محمد بن خلف ، ثنا عبد الله بن عمرو ، حدثنى يحيى بن أبى جابر ، حدثنى ربيعة بن عبد الحميد ، قال : كان المجنون من ولد أبى بكر بن كلاب ، فأتى عليه عصرٌ من الدهر لا يعرف ليلى ، ثم عشقها فخطبها فلم يزوجوه ، فاشتدت حالته وزاد ما كان يجده ، وفشا أمره

(*) **الأتراب** : جمع تِرْب ، وهو المماثل فى السن ، أما عظام الصدر فهى ترائب جمع ترية ؛ لذا لزم التنويه .

(١) **جاء فى النهاية** : وفى حديث الإيمان والقدر .

« **وترى الحفاة العُراة رِعاء الإبل والبَهم يتطاولون فى البنيان** » .

البَهْم : جمع بَهمة وهى ولد الضأن الذكر والأنثى وجمع **البَهم** بِهام ، وأولاد المعز سِخال . فإذا اجتمعا أطلق عليهما البَهم والبِهام . =

فى الناس ، فلقيه ابن عم له ، فقال : يا أخى اتق الله فى نفسك ؛ فإن هذا الذى أنت فيه من عمل الشيطان فازجره عنك ، فأنشأ يقول :

١ – يا حَبّذَا عملُ الشيطان من عَملٍ إن كان من عمل الشيطان حُبّيها[1]
٢ – منيتُها النفَس حتى قد أضرّ بها وأبصرت خَلفًا مِمّا أمنيها

أهناك عشاق آخرون لِلَيْلىٰ غير المجنون ؟!

وها هنا نكتة ، وهى أنه عشق ليلى هذه غيرُ المجنون أيضًا . وذلك فيما أخبرنا البرهان إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن مفلح من لفظه ، أنا أبى ، أنا أبو بكر بن المحب ، أنا أبو محمد المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا النرسى ، أنا أبو القاسم التنوخى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن المرزُبان ، قال : قال محمد بن زياد الأعرابى : كان « **معاذ بن كليب** » مجنونًا ، وكان يحب ليلى ، وشاركه فى حبها « **مُزاحم بن الحارث العقيلى** » !!

= **قال الخطابى** : أراد برعاء الإبل والبهم : الأعراب وأصحاب البوادى الذين ينتجعون مواقع الغيث ولا يستقر بهم الدار .

وجاء فى رواية « **رعاةُ الإبل البُهم** » بضم الباء والهاء على نعت الرعاة وهم السود . قال الخطابى : والبُهم – بالضم – جمع البهيم وهو المجهول الذى لا يعرف . أنظر المسند ٣/٤٩٥ .

(١) يا حبذا إلخ . طالما اتفقنا على ذهاب عقله وجنونه لم نؤاخذه بقوله ، ولعله يرى أن « **عمل الشيطان** » بذر بذور الشر والإيقاع بين الناس ، أما الحب فلا علاقة له به إنه عمل سامٍ نبيل يباركه الله !

□ **فقال مُزَاحِم :**

١ - كلانا يا معاذُ يُحِبّ ليلى بفيك وفىّ من ليلى التراب[1]
٢ - لقد خَلَبَتْ فؤادىَ ثم سارت بقلبى فهْوَ مَهْمُومٌ مُصَابُ
٣ - شَرِكْتُكَ فى هَوَى من ليس مِنْهُ لنا إلا القطيعةُ والعذابُ

□ **وقال معاذ بن كليب :**

١ - شفى اللهُ من ليلى فأصبح حُبُّها - بلا جَهْلٍ ليلى - زايلتنى حبائله
٢ - سوى رَفْرَفَاتٍ تضير فؤاده إذا ذُكِرَتْ ليلى وداء يُطاوِلُه

□ **وحديث معهن ! :**

□ وبه إلى ابن المَرْزُبَان ، أنا محمد بن خلف ، أخبرنى عبد الله بن عمرو ، حدثنى عبد العزيز بن صالح ، عن أبيه ، عن ابن دَأْب ، حدثنى رجل من بنى عامر ، **قال :** خرج المجنون - وهو : قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس بن قيس بن عنبسة - على ناقة له كريمة ، عليه حلة وطيلسان ، فبينما هو يسير إذ مر بامرأة من بنى عقيل يقال لها « **كريمة** » ومعها نسوة يتحدثن ، وكانت امرأة جميلة ، فلما رأته عرفته وقالت للنسوة : هذا قيس ، فدعونه إلى النزول والحديث معهن ، فنزل وعقر ناقة له ، وظل عندهن يحدثهن ويحدثنه ، وينشدهن وهن أعجب شيء به ، فلما أمسى إذا فتى قد

---

(١) ذكر داود فى سبب اختلاط عقله ما قيل من أن جنونه كان مجازاة لقوله :

قضاها لغيرى ....

أو لسماع هاتف أنشده :

كلانا مغرم فى حب ليلى بفِىّ وفيك من ليلى التراب

فاختلط عقله !

وذكر الوالبى فى سبب توحشه بيتين نقلا عن أبى عمرو الشيبانى وأن مناديًا ناداه بقوله :

كلانا يا أُخَىّ نحب ليلى بفِىّ وفيك من ليلى التراب
لقد ختلت فؤادك ثم بانت بقلبى ؛ فهو مهموم مصاب

والمراد بقوله : بفىّ وفيك التراب : أى نصيبنا منها الرفض وعدم القبول . ختلت : خدعت وراوغت . بانت بقلبى : قطعت صلتها به .

وذكر أبو الفرج أن مزاحمًا قال يومًا للمجنون :

كلانا يا معاذ يحب ليلى بفىّ وفيك من ليلى التراب
شَرِكْتُك فى هوى من كلُّ حَظّى وحظك من مودتها العذاب =

أقبل عليه بُردة من برود الأعراب يسوق معزَىٰ له ، فلما رأينه أقبلن عليه وتركن قيسًا ، وكان اسم الفتى « **مُنازل** » فجعلنَ يقلن : كيف ضللت يا مُنازل اليوم ، ويقلن : حدثنا يا منازل – وكانت فيهن ليلى – فلما رأى المجنون تركَهُن له وإقبالَهن على « **مُنازل** » خرج من عندهن مُغْضَبًا ، وأنشأ يقول :

١ – أأعقر من أجل الكريمة ناقتى وَوَصْلِيَ مقرون بوصلِ مُنازل[1]؟!
٢ – إذا جاء قعقعن الحُلِيّ ولم أكن إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل
٣ – إذا ما انتضلنا فى الخلاء نَضَلْتُه وإن نَرْمِ رَشْقًا عندها فهو ناضلى

□ دعوة ، وحوار ! :

□ وقد ذكر بعضهم أن قيسًا خرج قبل عشقه « **ليلى** » فمر بامرأة من بنى عقيل ، وكانت امرأة عاقلة ، وكان بنات الحى يجلسن عندها ويتحدثن وينشدن الأشعار ، فلما رأت قيسًا دعته إلى النزول عندها ، فنزل قيس عندهن وتحدث معهن وأنشدهن ، وقد عَجِبْنَ من فصاحته ، وإذا « **ليلى ابنة مالك** » قد أقبلت ، فلما رآها قيس فُتِن بها ، فلما رأته تلك المرأة كذلك قالت : ما بالك يا قيس قد ضل عقلك ؟!

فقال : من يرى مثل هذه الصورة كيف لا يضل عقله !، فسألت تلك المرأة

لقد خبلت فؤادك ثم ثنت بقلبى فهو مخبول مصاب

(١) وفى رواية : من جَرًّا كرائمَ : أى من أجلها ، و« **كرائم** » اسم المرأة التى كن عندها ، ووصلى مفضول – كما ذكر داود الأنطاكى ؛ أى دون وصل مُنازِلٍ ، وهو أليق بالمقام .
وفى النزهة :
إذا جاء قَعْقَعْن الحُلِيّ ولم يكن إذا جئت بل أخفين صوت الخلاخلِ
يقول : قد أظهرن صوت الحُلِيّ حين جاء « **منازل** » ، وهذه كناية عن قيامهن له ، ولم يكن ذلك عند مجيئى ، وهذا هو اللائق ، ولم يؤخذ من البيت السابق .
وذكر أبو الفرج الأبيات الثلاثة فى الأغانى الجزء الثانى :
أأعقرُ من جرًّا كريمَةَ ناقتى ووصلىَ مفروش لوصل مُنازلِ !
إذا جاء قعقعن الحلىّ ولم أكن إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل
متى ما انتضلنا بالسهام نضلته وإن نرم رشقا عندها فهو ناضلى
مفروش : أى ممهد لوصله وسبيل إليه . وفى تزيين الأسواق : « **مقرون بوصل منازل** » . انتضلنا : ترامينا بالسهام . والرشق : رمى أهل النضال ما معهم من سهام فى جهة واحدة .

« **ليلى** » أن تجلس معهن ففعلت ، فانحرف قيس نحوها وعلق قلبه بها ، وعلقته هى أيضًا ، فلما أمسوا انصرف قيس وبات بأطول ليلة ، فلما أصبح مضى وجلس إليهن ، ثم جاء فتى من حى « **ليلى** » فأقبلت عليه « **ليلى** » وتركت « **قَيسًا** » فكادت نفسه تذهب ، فلما مضى أنشد قيس :

١ – أأعقر من أجل الكريمة ناقتى ... ووصلى مقرون بوصل مُنازِلِ
٢ – إذا جاءَ قَعْقَعْن الحُلِىّ ولم أكن ... إذا جئتُ أرجو صوت تلك الجلاجلِ
٣ – ولم تُغْنِ عنى بُرْدَتى وتَجمُّلى ... وقومى ونسلى من كرام أفاضلِ
٤ – إذا ما اتّفقنا فى الحديث فَضَلْتُه ... وإن رام وَصْلا كان أكرمَ واصلِ
٥ – وإنّنى من إعراضها متألّمٌ ... قليلُ العَزا والصدُّ لاشك قاتِلِى

□ **فلما قال ذلك قالت :**

١ – كِلانا مُظْهِرٌ للناس بُغْضًا ... وكُلٌّ عند صَاحِبه مَكِينُ
٢ – وندفع بالتَّجَمّلِ ضِغْنَ قومٍ ... وفى الأحشاءِ مِنكَ هَوًى دفينُ[1]
٣ – ونُظهرُ جَفْوةً من غيرِ حقْدٍ ... وحُبُّكَ فى فؤادِى ما يَبِينُ
٤ – فطِبْ نفسًا بذاك وقَرّ عينًا ... فإن هواك فى قلبى مَصُون

□ **فَرَحَةٌ تُذْهب النوم من عينيه ! :**

فلما سمع ذلك فرح ورجعت نفسه ، فلم يزل معهن حتى أمسى ، ثم ذهب فبات بأطول ليلة ، وجهد أن ينام فلم يقدر ! **فأنشأ يقول :**

١ – نهارى نهارُ الناسِ حتى إذا بدا ... لى الليل هَزّتنى إليكِ المضاجعُ[2]
٢ – أُقَضِّى نهارى بالحديثِ وبالْمُنَى ... ويجمعنى والهمَّ بالليل جامعُ
٣ – لقد ثبتت فى القلبِ منكِ محبةٌ ... كما ثبتت فى الراحتين الأصابعُ[3]

(١) ذكر أبو الفرج الأصبهانى البيتين لكنه روى البيت الثانى بقوله :

تبلغنا العيون بما أردنا ... وفى القلبين ثَمّ هَوًى دفينُ

والضّغن : الكراهية .

(٢) نسبت هذه القصيدة لقيس بن ذُرَيْح بالجزء الثامن من الأغانى ضبعة بولاق وهى نموذج رائع للغزل العربى ، فيها جمال اللفظ ورصانته ، وفيها جلال المعنى ومتانته ، وفيها جمال النفس التى تألم هذا الألم الشريف ، وتذعن لقضاء الله وقدره هذا الإذعان الشريف .

(٣) لقد أراد أن يشبه ثبوت حبه ومتانته ، فلم يلتمس التشبيه بعيدا من نفسه ، وإنما وجده فى يده « **كما رسخت فى الراحتين الأصابع** » .

٤ – ولو كان هذا موضع العَتْب لاشْتَفَىٰ فؤادى ولكنْ للعتاب مَواضعُ
٥ – وأنتِ التى صَيَّرتِ جِسمى زُجَاجَةً تَنِمُّ على ما تحتويه الأَضَالِعُ
٦ – أيطمع من ليلى بوصل وإنما تُضَرِّب أعناق الرجالِ المطامِعُ[1]

فلما أصبح غدًا فوجدها مع أمها فلم تقدر على أن تكلمه ، **فأنشأ يقول** :

١ – أَظُنُّ هواها تاركى بِمَضِلّةٍ من الأرضِ لا مَالٌ لَدَىَّ ولا أهلُ
٢ – ولا صاحبٌ أشكو إليه بَلِيَّتِى ولا وارثٌ إلا المطيةُ والرحلُ
٣ – محا حبُّها حُبَّ الأُولى كنّ قبلَها وحَلّت مكانًا لم يَكُنْ حُلَّ من قَبْلُ
٤ – فحُبِّى لَهَا حُبٌّ تمكّنَ فى الحَشَا فما أنا راءٍ حُبًّا يكون له مِثْلُ

فرجع وفى نفسه أشد من ذلك ، ثم استمرّ به الحال من ذكرها . « **انتهى** » .

وأظهر هذه الأقوال الثلاثة التى ذكرناها فى هذا الفصل : « **الأوسط** » وأنشد بعضهم فى معناه :

عشقُتك يا لَيْلىٰ وكُنتِ صبيةً وكنتُ ابنَ سبعٍ ما بلغتُ ثمانيا

■ الفصل الرابع ■

فى ذكر تزايد أمره ، وقلة صبره ، وكثرة ذكره !

□ أخبرنا أبو العباس أحمد بن حسن الصالحى من لفظه ، أنا النظام بن مفلح ، أنا أبو بكر الصامت ، أنا أبو محمد المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا النرسى ، أنا التنوخى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن المرزبان ، قال : زعم ابن دَأْب أن « **معاذ بن كليب** » أحد بنى نمير بن عوف بن عامر بن عَقيل ، وكان يعشق « **ليلى الأخيلية** » من بنى عقيل ، وكان قد أقعده حُبّها من رجليه ، فأتاه أخو ليلى بليلى ، فلما نظر إليها وكلمته تحلل ما كان به وانصرف وقد عوفى !

وأن المجنون كان يجلس فى نادى قومه وهم يتحدثون فيُقبِلُ عليه بعضُ القوم وهو باهت ؛ ينظر إليه ولا يفهم ما يحدثه به ، ثم يثوب إليه عقله فيُسْأَلُ عن الحديث فلا

---

(١) روى صاحب الأغانى هذا البيت بروايته عن أبى عثمان المازنى :

طمعت بليلى أن تريع وإنما تقطّع أعناق الرجال المطامع

ويقال راع الشىء يريع ريعا ، أى رجع وعاد ، وورواية اللسان « **تضرّب** » بدلا من « **تُقَطِّع** » كما رواها ابن طولون .

يعرفه ، فحدثه مرة بعضُ أهله بحديث ثم سأله عنه فى غد فلم يعرفه ، فقال : إنك « **مجنون** » **فقال** :

١ – إنّى لَأَجْلِسُ فى النادِى أُحَدِّثُهُمْ فأستفيقُ وقد غَالَتِنى الغُـول[1]

٢ – يهوى بقلبى حديث النفس دونكم حتى يقول جليسى : أنت مجنون

كذا ذكره ابن الجوزى وغيره نقلاً عن « **أبى عبيدة** » ، وذكر غيرهم « **مخبول** » .

□ **قال أبو عبيدة** : فتزايد الأمر به حتى فقد عقله ، وكان لا يقر فى موضع ، ولا يؤويه رحل ، ولا يعلوه ثوب إلا مزقه ، وصار لا يفهم شيئًا مما يكلَّم به ، إلا أن تُذْكَرَ له « **لَيْلَى** » ، فإذا ذكرت أتى بالبَدائِةِ ورجع عقله !.

□ خبر غير موثوق به ! :

□ وذكر – من لا يوثق به – أن قيسًا ذهب إلى ليلى وقد شعروا ببعض أمره ، فرأته ليلى ولم تقدر على القيام إليه فبكت ، **فأنشأ يقول** :

١ – أيا ليلَ تبكى لى بعينك رحمةً من الوجد مما تعلمين وأعلـمُ

٢ – أليس عجيبًا أن نكون ببلـدةٍ كلانا بها نَشْقَىٰ ولا نَتَكَلَّـمُ

٣ – لئن كان ما أَلْقَىٰ من الحبِّ أننى به كَلِفٌ جَمّ الصّبابة مُغـرمُ

٤ – لعلك إن تَرْنِـى لِصَبٍّ مُتَيَّـم فمثلك يا لَيْلَىٰ يَرِقّ ويَرْحَـمُ

٥ – بكى لى يا ليلَى الضميرُ وإنه لَيَبْكى بما يلقى الفؤادُ ويَعْلَـمُ

فلما اشتهر أمره ، ولام قيسًا أهلُه على ذلك ، فصبر عن زيارتها أيامًا ، ثم سار إليها **وهو ينشد** :

١ – ألا أيها القلبُ اللجوجُ المعذَّلُ أَفِقْ عن طِلابِ البيضِ إن كنت تعقلُ[2]

٢ – أَفِقْ قَدْ أفاق العاشقون من الهوى وأنتَ بليلى هائم القلب مُتْبَـلُ[3]

---

(١) غالته : اغتالته ، وافترسته ونالت منه ، والغُول : كل ما أخذ الإنسان من حيث لا يدرى ولا يشعر .

(٢) اللّجوج : الذى يلازم ما هو فيه ، ويأبى أن ينصرف عنه . المعذّل : للبالَغ فى عذله ولومه على ما هو ملازمه . وطِلاب مصدر كالطلب . والبيض : النساء . يقال للمرأة بيضة الخدر ، وهى من بيضات الجمال ، وكنى عن المرأة بالبيض تشبيها بها فى اللون ، وكونها مصونة تحت الجناح . وقد ذكر الوالبى هذه الأبيات مع اختلاف يسير فى قصيدة من خمسة عشر بيتا .

(٣) تبل الحبُّ فلانا : أسقمه وذهب بعقله فهو متبول وتبيل .

٣ – وقد زعمت ليلى بأنى سَلَوْتُها وأن سِوَاهَا حُبُّه لى مُكَمّلُ
٤ – فقلت لها : يا ليل ؛ والله إننى لأوفى بعهدى فى الجميل وأوصلُ
٥ – هَبِى أننى أَذْنَبْتُ ذَنْبًا جهلتُه ولم آته عمدًا وذو الجهل يجهلُ
٦ – فقد تُبتُ من ذنبى إليك فها أَقْبِلى ومِثْلِى إذا ما تَاب مثلُك يقبلُ
٧ – عفا الله عما قد مضى لسبيله فها أنا من ذنبى لكم أتنصَّلُ
٨ – فإن شئت هاكى نازعينى حكومةً وإن شئت قلنا : إن حُكمَكِ أفضلُ
٩ – وإن كان هذا الهجرُ هجرَ تذلُّلٍ فقد زادنى ياليلَ هذا التذلُّلُ
١٠ – أُعَلِّلُ منكِ النفسَ بالوعدِ والمُنى فهل لى أناس منك ليلى أُعَلَّل ؟!
١١ – أهيم بكم فى كلِّ يومٍ وليلةٍ جُفُونًا وجسمى بالسقام مُوَكّلُ

ثم سار حتى جاء منزلهم فلم يجدهم ، فجعل يقبل الأرض ويقول :

١ – أبوسُ تُرَابَ رجلِك يـا لَوَيْلى ! ولولا ذاك لم أدع مصابا[٤]
٢ – وما بوسى الترابَ لحُبّ أرض ولكن حب من وطىء الترابا

ثم صور صورة فى التراب منها ، وجعل يعاتبها ويقول :

١ – أصور صورة فى التُّراب منها وأبكى إن قلبى فى عذاب !
٢ – وأشكو هجْرَهَا منها إليها شكايةً مُدْنَفٍ عظم المصاب
٣ – وأشكو ما لقيتُ وكل وجد غرامًا بالشكاية للتراب

■ الفصل الخامس ■

فى ذكر عزمهم على تزويجه بغيرها لعل ذلك يذهب طيره عن طيرها !

□ اجتماع فى بيت قيس :

□ أخبرنا أبو عمر يوسف بن البدر العمرى سماعًا عليه ، أنا أسعد بن منجا إجازة ، عن أبى حفص بن البالسى ، أنا أبو الحجاج المزح ، أنا أبو الحسن بن البخارى (ح) .

(٤) باس التراب : قبله . فارسىّ معرب ، وما هكذا تكون الضَّعَةُ فى الحب ! ولكنه المجنون ! ، إن الحب النبيل يسمو بصاحبه حتى يصبح نموذج الكمال والجمال !، ولكن هكذا يكون حال المجنون !

قال شيخنا : وأنا عاليا أبو عبد الله بن مقبل فى كتابه ، عن الصلاح بن أبى عمر ، عن الفخر بن البخارى ، أنبأنا أبو الفرج الحافظ ، أنا محمد بن عبد الباقى ، أنا على ابن المحسن ، أنا أبو عمر بن حيويه ، أنا محمد بن خلف ، قال : روى رباح بن حبيب ، عن رجل من بنى عامر ، قال : لما كثر ذكر المجنون لليلى ، واشتهر أمره ، اجتمع أهله إلى أبيه وكان سيدًا فقالوا له : زوِّج قيسًا ؛ فإنه سيكف عن ذكر ليلى وينساها ، فعرض عليه أبوه التزويج فأبى ، وقال : لا حاجة لى إلى ذلك .

فأتى ليلى بعض فتيان الحى ممن كان يحسد قيسًا ويعاديه ، فأخبرها أنه عزم على أن يتزوج بغيرها ، وجاء المجنون كما كان يجىء ، فحجبتْه ، ولم تَظْهَرْ لَه ، فرجع وهو يقول :

١ - فوالله ما أدرى علامَ هجرتنى ... وأىّ أمورِى فيك يا ليلَ أركبُ

٢ - أأقطعُ حَبْلَ الوصلِ فالموتُ دونَه ... أم آشربُ رَنْقًا منكم ليس يُشْرَبُ[1]

٣ - أم أهرُبُ حتى لا يرى لى مجاورًا ... أمَ أفعل ماذا ؟ أم أبوحُ فأُغْلَبُ

٤ - فوالله ما أدرى وإنى لدائب ... أفكر ما جُرْمى إليها فأعجب !

قال : فبلغها قوله فأنشأت تقول : صدق والله قيس حيث يقول :

ومن يُطِعِ الواشينَ لا يتركوا له ... صديقًا وإن كان الحبيبَ المقرَّبا[2]

□ أهناك من هو أشرف من ليلى وأحسن عند قيس ؟! :

□ وذكر بعضهم أنه قال له : أنا أزوجك أشرف منها وأحسن ، فبكى وأنشأ يقول :

١ - لليلى على قلبى من الحبِّ حاجزٌ ... مُقيمٌ ولكنَّ الفراقَ عَظيمُ

٢ - فواحدة تبكى من الهجر والقِلَى ... وأخرى لها شجونها وتهيمُ

٣ - ويُنْهِضُنى من حبِّ ليلى نواهضٌ ... لَهُنّ حريقٌ فى الفؤاد مقيمُ

٤ - إلى الله أشكو فقدَ ليلى كما شكا ... إلى اللهِ فقدَ الوالدين يتيمُ

٥ - يتيم جَفَاهُ الأقربون فَعَظْمُه ... ضعيف ، وعهد الوالدين قديمُ

---

(١) رَنْقًا : كدرًا . وروى الأبيات الخمسة أبو الفرج الأصبهانى فى ترجمة أخبار مجنون بنى عامر مع اختلاف الروايتين .

(٢) الواشين : جمع واشٍ ، وهو الساعى بالفساد بين المحبين .

٦ – وإن زمانًا فرقَ الهجرُ بيننا وبينكِ يا لَيْلَىٰ فذاك ذَمِيمُ !

■ الفصل السادس ■

فى ذكر خروجهم به إلى مكة ليذهب كَلَفُه ، ويقل غَمُّه ، فازداد ، وما وقع له من الاتفاق فى ذلك الناد

□ إلى مكة !! :

□ أخبرنا التقى أبو بكر بن محمد بن أبى عمر من لفظه ، أخبرتنا فاطمة ابنة الحرستانى ، عن أحمد بن على المرداوى ، أنا أبو محمد بن المحب ، أنا أبو الحسن الصالحى « ح » .

وأنا عاليًا أبو البقاء بن أبى عمر ، أنا أبو الفرج بن قريح ، أنا أبو عبد الله بن العز ، عن أبى الحسن الصالحى ، عن أبى الفرج البغدادى ، أنا محمد بن أبى منصور ، أنا أحمد بن محمد البخارى ، أنا الحسن بن على الجوهرى ، أنا أبو عمر بن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، قال : قال أبو عمرو الشيبانى :

لما ظهر من المجنون ما ظهر ، ورأى قومه ما ابتلى به ، اجتمع قومه إلى أبيه وقالوا : يا هذا قد ترى ما ابتلى به ابنك ؛ فلو خرجت به إلى مكة فعاذ ببيت الله ، وزار قبر النبى – ﷺ – ودعا الله – عز وجل – رجونا أن يرجع عقله ويعافيه الله ، فخرج أبوه حتى أتى مكة ؛ فجعل يطوف به ويدعو الله له بالعافية ، وهو يقول :

١ – دعا المُحْرِمُون اللهَ يستغفرونَه بمكَةَ وَهْنًا أن سَتُمْحَىٰ ذنوبُها
٢ – وناديتُ أن ياربِّ أول سُؤْلَتى لنفسىَ ليلى ثم أنت حَسِيبُها[1]
٣ – فإن أُعْطَ ليلى فى حياتى لا يتب إلى الله خلق توبةً لا أتوبها

□ كلمة السر ! :

حتى إذا كان بِمِنىً نادى منادٍ من تلك الخيام : « **يا ليلى** » ، فخر قيس مغشيًا عليه ، واجتمع الناس حوله ، ونضحوا على وجهه الماء ، وأبوه يبكى عند رأسه ، ثم أفاق وهو يقول :

١ – وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْفِ من منى فهيجَ أطرَافَ الفؤادِ وما يَدْرِى[2]

(١) سؤلتى : مسألتى ، ومطلبى .

(٢) الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن سيل الماء .

٢ – دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بلبى طائرًا كان فى صدرى

قلت : هذا مما استشهد به النحاة وغيرهم .

□ الشىء بالشىء يُذكر ! :

□ **قال ابن خلف** : وما أشبه هذا الخبر بخبر حدثنيه النضر بن سعيد الكلابى ، حدثنى أبى قال : أحب رجل منا جارية من قومه يقال لها : « **ليلى** » ؛ قال : فبينما هو ذات ليلة بشاطىء الفرات إذ مر به « **مَلّاح** » بداخل سفينة وهو يقول : يا « **ليلى** » يا « **ليلى** » ، قال : فشوقه ذلك وحركه ، وذكر حبيبته ، **فقال** :

١ – ويحك يا مَلّاح أرّقَ ليلتى دُعَاكَ : « ليلى » والسفينُ تعومُ

٢ – تنادى ، ولا تدرى بمن أنت هاتف ؟! وتعلم ما تَهْذِى به فَتَهِيمُ

□ دعونى أتنسَّم صَبا نجد ! :

□ وبه إلى أبى الفرج البغدادى ، أخبرت شهدة ؛ فقالت : ثنا جعفر بن أحمد ، ثنا أبو محمد الجوهرى ، ثنا محمد بن العباس ، ثنا محمد بن خلف ، ذكر محمد بن حبيب ، عن هشام بن محمد الكلبى ، وغيث الباهلى ، وأبى عمرو الشيبانى ، عن ابن دَأْبٍ ، عن رباح ، حدثنى بعض المشايخ قال : خرجت حاجًّا ، حتى إذا كنت بِمنًى إذا بجماعة على جبل من تلك الجبال ، فصعدت إليهم ، فإذا فيهم فتى أبيض حسن الوجه وقد علاه الصَّفَار وبدنه ناحل ، وهم يمسكونه ؛ فسألتهم عنه ، فقالوا : هذا « **قيس** » الذى يقال له : « **المجنون** » ، خرج به أبوه لِمَا يُلِىَ به يستجير له ببيت الله الحرام ويزور قبر محمد – عليه أفضل الصلاة والسلام – فلعل الله أن يعافيه . قلت لهم : فما لكم تمسكونه ؟ قالوا : نخاف أن يجنى على نفسه جناية تُتْلِفُه !.

قال : وهو يقول لهم : دعونى أتنسم صَبَا نَجْدِ . فقال لى بعضهم :

ليس يعرفك !، فلو شئت دنوت منه فأخبرته أنك قد قدمت من نجد وأخبرته عنها .

قلت : نعم أفعل . فدنوت منه ، فقالوا له : يا قيس هذا رجل قدم من نجد .

قال : فتنفس حتى ظننت أن كَبِدَه قد تصدعت ، ثم جعل يسائلنى عن موضعٍ موضعٍ ، ووَادٍ وادٍ ، وأنا أخبره ، وهو يبكى . ثم أنشأ يقول :

١ - ألا حبذا نجدٌ وطيبُ ترابه ... وأرواحه إن كان نجد على العهد
٢ - ألا ليت شعرى عن عُوارِضَتى قَنا ... لطول التّنائى هل تغيرتا بعدى[١]؟!
٣ - وهل جارتانا بالبتيل إلى الحمى ... على عهدنا أم لم تدوما على العهد[٢]؟!
٤ - وعن أعلويات الرياح إذا جرت ... بريح الخُزامى هل تهب على نجد[٣]؟
٥ - وعن أُقْحُوَانِ الرَّمْلِ ما هو صانِعٌ ... إذا هو أسْرَىٰ ليلة بثرّى جَعد[٤]؟!

□ وقفة مع اللغويات :

قوله : وأرواحه جمع ريح ، فإنها تجمع على رياح وأرواح .

قال الله - عز وجل -: ﴿ **وهو الذى يرسل الرياح** ﴾ [الأعراف : ٥٧].

وقال أبو زيد بن جارية فيه حين سُبِىَ :

وإن بقيتِ الأرواحُ هَيَّجْنَ ذكرَه ... فيا طولَ أَحْزَانى عليه ويا وَجَلى

وعارضتنى قنا : موضعان ، والبتيل : موضع ، وأعلويات ، وروى علويات الرياح : الرياح التى تهب من العالية .

والخُزَامَىٰ كسُلَامى نبت له رائحة طيبة .

والأُقحوان - بضم الهمزة وسكون القاف وضم الحاء المهملة - على وزن « **أُرْجوان** » نبت له نَوْرٌ أبيض وأصفر .

□ أقول إلـفٍ .. :

وأخبرنا أبو حفص عمر بن خليل الصالحى ، أنا أبو حفص بن مفلح ، أنا أبو

---

(١) قنا وعوارضة جبلان لبنى فزارة . (٢) والبتيل : جبل بنجد .

(٣) عُلْوِيّات : كما رواها أبو الفرج فى أغانيه - جمع علوية نسبة إلى العالية ، وهى ما فوق إلى أرض نجد إلى تهامة ، وهذه النسبة نادرة ، والقياس : عالىّ .

(٤) يقال : تراب جعد : أى نَدٍ .

بكر بن المحب ، أنا المطعم ، أنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا النرسى ، أنا التنوخى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن المرزبان ، أنشدنا محمد بن خلف ، أنشدنا القحذمى للمجنون :

١ - أقول لإلْفٍ ذاتَ يومٍ لقيتُـه ... بمكةَ والأنْضَاء مُلْقًى رِحَالها[1]
٢ - بِرَبّك أخبرنى : ألـم تأثَـم التى ... أضَرّ بِجِسْمِى من زمانٍ خَيَالُها ؟!
٣ - فقال : بلى - والله - سوف يَمَسُّهَا ... عذابٌ وَبَلْوَىٰ فى الحياة تَنَـالها
٤ - فقلتُ :- وَلم أملك سوابَق عَبْرَةٍ ... سريعٍ على جيب القميص انهمالُها-
٥ - عفا الله عنها ذَنْبَها ، وأقالَهـا ... وإن كانَ فى الدُّنْيَا قليلاً نوالُها[2]

■ الفصـل السـابع ■

فى ذكر منعه من محادثتها والاجتماع بها

□ شكوى إلى الـوالى ! :

□ أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن المحب ، أنا والدى ، أنا أبو الفرج بن أبى عمر ، أنا أبو الفرج بن الجوزى إجازة ، أنا ابن أبى منصور ، أنا المبارك بن عبد الجبار ، أنا على بن المحسن ، أنا أبو عمر بن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، قال : قال محمد بن زياد بن الأعرابى ، لما شَبَّبَ المجنون بليلى ، وشهر بحبها ، اجتمع إليه أهلها ، فمنعوه من محادثتها ، وزيارتها ، وتهددوه ، وأوعدوه بالقتل ، فكان يأتى امرأة فتعرف له خبرها ، فنهوا تلك المرأة عن ذلك ، فكان يأتى غفلات الحى[3] فى الليل .

فلما كثر ذلك خرج أبو ليلى ومعه نفر من قومه إلى « **مروان بن الحكم** » ، فشكوا إليه ما يناهم من « **قيس بن الملوح** » ، وسألوه الكتاب إلى عامله عليهم يمنعه من كلام ليلى .

فكتب لهم مروان كتابًا إلى عامله يأمره أن يحضر قيسًا ، ويتقدم إليه فى ترك زيارة

---

(١) الأنضاء : جمع نِضْو ، وهو المهزول من الحيوان .

(٢) أقالها : أقال عثرتها ، ونجاها . وقد ذكر داود الأنطاكى هذه الأبيات الخمسة فى أخبار المجنون وصاحبته ليلى (انظر تزيين الأسواق، ص ١٢١ جـ١) .

(٣) الغفلات جمع غفلة : عند سهو القوم وقلة تحفظهم وتيقظهم .

ليلى ، فإن أصابه أهلها عندهم ، فقد أهدروا[1] دمه .

فلما ورد الكتاب على عامله بعث إلى قيس وأبيه وأهل بيته ، فجمعهم ، وقرأ عليهم كتاب مروان ، وقال لقيس : اتق الله فى نفسك ، لا يذهب دمك هدرًا ، فانصرف قيس وهو يقول :

١ - ألا حُجِبَتْ ليلىٰ وآلى أميرُها ... علىَّ يمينًا جاهدًا لا أزورها[2]

٢ - وأوعدنى فيها رجال أبوهم ... أبى وأبوها خُشنَةٌ لى صُدُورُها

٣ - على غير شىء أنى أحبها ... وأن فؤادى عند ليلى أسيرها[3]

□ أمر قيس يتزايد ! :

□ فلما أيس منها وعلم أن لا سبيل إليها ، صار شبيهًا بالتائه العقل ، وأحب الخلوة ، وحديثَ النَفسِ ، وتزايدَ الأمرُ به حتى ذهبَ عقلُه ، ولعب بالحصى والتراب ، ولم يكن يعرف شيئًا إلا ذِكْرَها ، وقولَ الشعرِ فيها .

وبلغها ما صار إليه قيس ، فجزعت أيضًا لفراقه ، وضَنِيَتْ ضنًى شديدًا .

□ وقفة مع مفردات اللغة :

وقوله : آلى من الإيلاء وهو الحلف .

وقد ذكر بعضهم ذلك بأطول من هذا بألفاظ ركيكة ، وفى الشعر زيادة وهى قوله :

١ - لقد حجبوا ليلى وآلى أميرها ... على يمينًا بَرَّةً لا أزورُها

٢ - فكيف وقلبى فى هواها مُوَكّل ... وقد فاضَ من أجفانِ عَيْنى غزيرُهَا ؟!

---

(١) هدرًا : بغير قصاص أو دية .

(٢) آلى : أقسم وحلف . وأميرها هو مروان بن الحكم وذلك حين انتهت خلافة الإسلام إلى معاوية بن أبى سفيان ، وأصبح معاوية أمير المؤمنين ، وانداح السلطان عن بوادى العرب إلى حواضر الشام ، واستقر الحكم الجديد فى دمشق تاركًا مكة وما يليها تحت ولاية مروان بن الحكم ، وفى هذا العصر عاش المجنون فى « **بادية نَجْدٍ** » . أو قيل : إنه عاش . « **وعمرو بن نوفل** » هو عامل مروان كما جاءت الروايات بذلك ، ثم عزله مروان ، وولى « **نوفل بن مساحق** » على الصدقات . وتردد فى الحكايات توسطهما وشفاعتهما لقيس عند والد ليلى . وعلى ذلك فلا تعارض بين الروايات .

(٣) ذكر الوالبى هذه الأبيات الثلاثة ومعها رابع هو :

وإنى إذا حَنّت إلى الإلف إلفها

هفا بفؤادى حين حنت سَحُورُها

٣ – وفيها جفانى كل إلْفٍ وصاحبٍ فياليتَ شِعرى ما يكونُ مَصيرُها ؟!
٤ – وكنت إذا ما جِئْتُ ليلى تَبَرْقَعَتْ فَقَدْ رابَنى مِنْها الغداةَ سُفُورُها
٥ – وما أَسْفَرَتْ إلا وقد باتَ أهلُها على عَجَلٍ مِنِّى وهذا نَذِيرُها
٦ – وأوعَدنِى فيها رجالٌ أَعَدُّهُمْ أبى وأبوها فاشتعلت صدورُها
٧ – على غيرِ ذنبٍ أنّنى أُحِبّها وأن فؤادى عند ليلى أسيرُها
٨ – وقد عَوّضَتْنِى بالوصالِ قطيعةً فياليت شعرى ما يكون أخيرُها !

■ الفصل الثامن ■

فى ذكر احتياله ليراها ،
فلما ردت عليه حيله كثر على ذلك عمله

□ محاولة يائسة من أجل قيس بن معاذ !! :

□ أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد المزى ، أنا جدى ، أنا أبو الفتح الميدومى ، أنا أبو الفرج الحرانى ، أنا أبو الفرج الجوزى ، أنا محمد بن عبد الباقى ، أنا على بن المحسن ، أنا ابن حيويه ، أنا محمد بن خلف ، حدثنى إسحاق بن محمد ، حدثنى أبو معاذ النميرى ، أن « **مروان بن الحكم** » استعمل رجلاً من « **قيس** » على صدقات « **كعب بن ربيعة بن عامر** » ، وهم : قيس ، والحريش ، وجعدة ، فسمع بخبر « **قيس ابن معاذ** » – وهو « **مجنون بنى عامر** » – فأمر أن يؤتى به ، فأتى به فسأله عن حاله ، واستنشده فأنشده ، فأعجب به ، وقال له : الْزَمْنِى فلك أن أحتال لك فى أمر « **ليلى** » حتى أجمع بينك وبينها ! .

فكان يأتيه فيتحدث إليه ، وكان لبنى عامر مجتمع يجتمعون فيه فى كل سنة ، وكان « **الوالى** » يخرج معهم إلى ذلك المجتمع لئلاً يكون بينهم اختلاف ، فحضر الوقت ، فقال قيس للوالى : أتأذن لى فى الخروج معك إلى هذا المجتمع ؟ فأذن له .

فلما عزم على الخروج جاءه قوم من رهط قيس ، فقالوا له : إنما سألك الخروج معك ليرى « **ليلى** » ويكلمها ، وقد استعدى عليه بعض أهلها وأهدر لهم السلطان دمه إن أتاهم . فلما قالوا له ذلك منعه من الخروج معه وأمر له بقلائص[1] من إبل الصدقة

(١) القلائص : جمع قَلوص وهو الفتى من الإبل من حين يركب إلى التاسعة ، والناقة كذلك .

فردها ، وأبى أن يقبلها ، وأنشأ يقول :

١ - رددتُ قلائصَ القرشيِّ لما بَدا لِيَ النقضُ مِنْهُ للعهودِ

٢ - وراحوا مقصدين وخلَّفوني إلى حزن أعالجه شديد[1]

□ هكذا كان مصيره ! :

فلما علم « **قيس بن معاذ** » أنه قد منع ، وأنه لا سبيل إليها ، ذهب عقله ، وصار لا يلبس ثوبًا إلا خَرَّقَه ، وهام على وجهه عُرْيَانًا ، لا يعقل شيئًا مما يُكلم به ، ولا يصلى ، فلما رأى أبوه ما صنع بنفسه خاف عليه التلف ، فحبسه وقيده ، فجعل يأكل لحمه ، ويضرب بنفسه الأرض ، فلما رأى ذلك أبوه حل قيدَه وخلّاه ، فكان يدور فى فيافيهم عُريانًا ، ويلعب بالتراب ، وكان له « **داية** »[2] لم يكن يأنس بأحد غيرها ، وكانت تأتيه فى كل يوم برغيف وماء ، فتضعه بين يديه فربما أكله وربما تركه ولم يأكله !

□ عمرو بن نوفل والمجنون ! :

□ وذكر بعضهم أن « **مروان بن الحكم** » استخدم رجلاً من قريش يقال له « **عمرو بن نوفل** » على صدقات « **بنى عامر** » ، فأتاه المجنون فامتدحه بأبيات من الشعر ، وجالسه وحادثه ، فطاب له حديثه ، وأعجبه شعره ، وكساه كُسْوةً حسنة ، وأمره بالمقام عنده ، فأقام عنده ثلاثة أيام ، وأراد « **عمرو بن نوفل** » الخروج إلى « **بنى عامر** » ، فقال له قيس :

إنى أريد الخروج معك ، فقال : نعم ، فأتاه رهط قيس ، وقالوا له : إن فى الأحياء جاريةً يقال لها : « **ليلى** » وهو يحبها ، وقد أهدر لهم دَمَه أميرُ المؤمنين ، فإن أخذته شاركتَ فى إثْمِه ، فتوقف فى أخذه ، ثم وهب للمجنون إبلاً فردها عليه وتركه ، ولم يأخذه معه ، فخرج فى البرية .

---

(١) يقال أقصده فهو مقصد : إذا رماه وطعنه فى مقتل .
وفى رواية الأغانى لأبى الفرج .
وراحوا مُقْصِرينَ وخلفونى إلى حزن أعالجه شديد
بالراء . من أقْصَرَ عن الأمر : أمسك مع القدرة عليه .

(٢) هى التى قامت بتوليده ، أو رضاعته أو حضانته . وهى عربية فصيحة . ولها ثلاثة استعمالات : فالداية هى : المرضع الأجنبية ، والحاضنة ، والقابلة .

□ نوفل بن مُساحقٍ والمجنون ! :

ثم إن « **مروان** » عزل « **عمرًا** » وولى « **نوفل بن مساحق** » ، فأتى على « **قيس** » وقال :

يا قيس ، لقد بلغ منك الحب مبلغًا عظيمًا ، وما أظن بلغ بأحد ما بلغ بك . قال قيس : وسيبلغ بى أكثر من هذا ، فلم يزل نوفل يؤانسه حتى أنس به ، ثم جعل يشكو لنوفل ما يجده من ليلى ، وما أهدر أمير المؤمنين من دمه ، فأمر له بكسوة حسنة ، وثياب من أثوابه ، وسأله قبولها ، فقبلها قيس ولبسها ، وقال له :

تريد أن أزوجك بليلى عاجلاً ، قال : أى والله ومن لى بهذا ؟! فقال : انطلق إلى عِند أبيها حتى أخطبَها لك وأُرَغِّبَه فى المهر ، فقال قيس : وتفعل يا بنَ عمٍّ ؟! فقال : والله لأفعلن ولو فيه إتلاف نفسى !

قال : فشكره ومدحه بأبيات ، وقال له : بالله أسمعنى ما قلت فى ليلى ، فأنشده :

١ – إنِّى لَأَجْلِسُ فى النّادِى أُحَدِّثُهم ... فأستفيق وقد غالتنىَ الغولُ[1]

٢ – يغشى بقلبى حديثُ النفسِ عنهُمُ ... حتى يقولَ حبيبى : أنت مخبول

٣ – قالوا : شبيهُك لا يخفى على أحد ... ليلى الجمال رضاها القصد والسُّول[2]

٤ – ليلى هى البدر مالى قَطُّ مُضْطَبَرٌ ... عنها وإن كثرت فيها الأقاويل !

ثم سار بقيس طالبًا أبيات ليلى ، فبلغ ذلك أهلُها ، فركبوا خيولَهم يريدون الحرب ، فلما رآهم ، قال : ما بالكم ؟ قالوا : يا نوفل تريد أن تُلْبِسَنَا عَارًا ؟! لا نفعل ذلك أبدًا ، أو نموت !، ثم كلّمهم ووعَظَهم ؛ فأبوا ، وكان العرب لا يُزَوِّجُون امرأة مِمّن اشتهر بعشقها ، فلما رأى « **نوفل** » ذلك قال : قد رأيت يا قيس !، وبالرغم منى ذلك !، فقال قيس : والله ما وفيت لى بوعد فتركه وجعل يهجوه ، ويقول :

١ – وعارٍ من الأرياش كاسٍ من الهوى ... من المال مِغدامٌ لئيمُ الخَلائقِ

٢ – تُرَىٰ هل أتى ليلى بعزمةِ صادقٍ ... كما هاج بى من نَوْفَل بنِ مُسَاحِقِ

٣ – راجيتُهُ فى الناس منة على الرجا ... أَلَمّ بقلبٍ مُسْتَطارِ الخَوَافِقِ

٤ – فمن أجل هذا الحب صرت كما أرى ... فقلت : نعم والحب مُرُّ المذائِقِ

---

(١) الغُول : كل ما أخذ الإنسان من حيث لا يدرى فأهلكه .

(٢) السُّول : القصد والمنى والطلب وهى السُّؤل خفضت همزتها .

٥ – سأفضى إلى سُبُلِ الهلاك وإننى ... لمحتسبٌ راضٍ مشيئةَ خالقِ
٦ – وجاءوا بوعدٍ خالطَ الشهدُ طعمَه ... وألقى عليه مُوبقاتِ البوائقِ
٧ – وقالوا : وأيْمُ اللهِ لا صار بَيْنَنَا ... إلى أن تزين البيض شعثَ المفارقِ
٨ – وقالوا : دم المجنون فى الحى مُهْدَرٌ ... وقالوا : اصرفوا والقول غير موافق
٩ – إلى اللهِ أَزْجُو القربَ إلا تطايرت ... لِتُعينَ بَعْضًا – بالبين – سربُ نَواعِقِ
١٠–ولا أرتجى يومًا مِنَ الدَّهْرِ راحةً ... أُسَرّ بها إلا رميتُ بعائقِ
١١–ولما بلغا الحىَّ والجسمُ ناحِلٌ ... وقلبى موجوع ، كثيرُ الخوافِقِ
١٢–فوالله ما أدرى أقلبى مُخَصَّصٌ ... بهذا فألقاه بتسليمِ صادِقِ
١٣–أم الحب فَعّال بغيرى كما أرى ... فقلبى خافق بالبوائقِ
١٤–حلفتُ بعَهْدِ اللهِ يا « أم مالك » ... لأنك من قلبى مكان علائِقِ
١٥–وأكثر شىء نلته من نوالها ... أَمَانِىّ لم تعلق كَبَرقَةِ بَارِقِ
١٦–وإنى لأهوى قُربَ ليلى وذكرَها ... هوى صادقٍ فى الحب غيرِ مُنافِقِ
١٧–سأصبرُ للمقدورِ يا أُمَّ مَالِكٍ ... وأعلمُ أنّ الصَّبْرَ مُرُّ المذائِقِ

■ الفصل التاسع ■

فى ذكر عود نفسه إليه عند رؤياها ورجوع عقله عند ذكر حلاها

□ أم قيس عند ليلى ١ :

□ أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى عمر ، أنا أبو الفرج بن الطحان ، أنا الصلاح بن أبى عمر ، أنا الفخر بن البخارى ، أنبأنا أبو الفرج بن الجوزى ، قال : قال جعفر بن أحمد السراج ، أنا إبراهيم بن عمر البرمكى ، أنا أبو عمر بن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، ثنا زكريا بن موسى ، حدثنى شعيب بن السكن ، عن يونس النحوى ، قال : لما اخْتُلِطَ « قيس بن الملوّح » وزالَ عقلُه ، وامتنعَ من الأكل والشُّرب ، سارت أمُّه إلى ليلى ، فقالت لها : إن ابنى جُنَّ من أجلك ، وذهب حُبُّك بعقله ، وقد امتنع عن الطعام والشراب ، فإن رأيت أن تصيرى معى إليه ، فلعله إذا

رآك أن يسكن بعضَ ما يَجِدُ ، فقالت لها : أمَّا نهارًا فلا يمكننى ذلك ، فإن عَلِمَ أهلى ذلك لم آمَنْهُم على نفسى ، ولكنى سأصير إليه فى الليل . فلما كان الليل صارت إليه وهو مطرق يهذِى ، فقالت له : يا قيس إن أمك تزعم أنك جننت من أجلى ، وأصابك ما أصابك .

قال : فرفع رأسه ونظر إليها ، وتنفس الصُّعَدَاء ، وأنشأ يقول :

١ - قالت : جننت بمن تهوى ، فقلت لها : الحبُّ أعظمُ مما بالمجانين

٢ - الحب ليس يُفيقُ الدهرَ صاحبُه وإنما يُصْرَعُ المجنونُ فى الحين[1]

□ وفى رواية أخرى زيادة :

٣ - لو تعلمين إذا ما غبتِ ما سَقَمِى وكيف تسهر عينى لم تِلومينى

□ قيس ونوفل بن مساحق :

□ **وقال ابن حيويه** : وأنا محمد بن خلف ، حدثنى محمد بن إسحاق ، حدثنى ابن عائشة ، عن أبيه ، قال : ولى « **نوفل بن مساحق** » صدقات « **كعب بن ربيعة** » ، فنزل بمجمع من تلك المجامع ، فرأى « **قيس بن معاذ** » المجنون وهو يلعب بالتراب ، فدنا منه وكلمه ، فجعل يجيبه بخلاف ما يسأل عنه ، فقال له رجل من أهله : إن أردت أن يكلمك كلامًا صحيحًا فاذكر له « **ليلى** » ، فقال له « **نوفل** » : أتحب « **ليلى** » ؟ قال : نعم . قال : فحدثنى حديثك معها . قال : فجعل ينشده شعره فيها ، فأنشأ يقول :

١ - وشُغِلْتُ عن فَهْمِ الحديثِ سِوَى ما كانَ فيكِ فأنْتُمُ شُغْلِى

٢ - وَأُديمُ نحوَ مُحَدِّثى لِيَرى أنْ قَدْ فَهِمْتُ وعندكم عقلى !

وأنشد :

١ - سَرَتْ فى فؤادِ القلبِ حتى إذا انتهى بها السيرِ وارتادت حِمَىٰ القلبِ حَلَّتِ

٢ - فللعين تَهْمَالٌ إذا القلب مَلَّهَا وللقلب وَسْواسٌ إذا العين مَلَّتِ

٣ - ووالله ما فى القلب شىء من الهوى لأخرى سواها أكْثَرَتْ أمْ أقَلَّتِ

(١) ذكر أبو الفرج الأصبهانى البيتين مع اختلاف فى صدر البيت الأول :

قالت جننت على أيْشٍ ؟ فقلت لها : الحب أعظم مما بالمجانين

وقد ذكر الشهاب الخفاجى فى « **شفاء الغليل** » أن « **أيش** » مخففة من أى شىءٍ ؟ وقد قيل : إنها سمعت من العرب وإنها وردت فى شعر قديم . كما قيل : إنها مولدة .

وفى رواية : « **قالت : جننت على رأسى فقلت لها** : » .

وأنشـــد :

١ - ذكرت عشية الصدفين ليلى وكلَّ الدهر ذكراها جديد

٢ - علىّ أَلِيّةٌ إن كنت أدرى أينقص حب ليلى أم يزيد[1]؟

فلما رأى نوفل ذلك منه أدخله بيتًا وقيده ، وقال : أعالجه ، فأكل لحم ذراعيه وكفيه ، فحله وأخرجه . فكان يأوى مع الوحوش ، وكان له « **داية** » ربته صغيرًا ، فكان لا يألف غيرها ، ولا يقرب منه أحد سواها ، فكانت تخرج فى طلبه فى البادية ، وتحمل له الخبز والماء ، فربما أكل بعضه وربما لم يأكل ، فلم يزل على ذلك حتى مات .

■ الفصـــل العـاشـــر ■

فى ذكر ما وقع له من الاستخبار والاصطياد وما حصل له من الاستدلال والاستمداد

□ مجنون بنى عامر والأحوص الأنْصَارى :

□ أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم الحاكم ، أنا النظام بن مفلح ، عن أبى بكر ابن المحب ، أنا أبى ، وأبو الحجاج المزى ، قالا : أنا أبو الفرج بن أبى عمر ، وأبو الحسن بن البخارى (ح) وأنا عاليًا أبو عمر العمرى ، أنا جدى ، أنا الصلاح بن أبى عمر ، أنا أبو الحسن بن البخارى ، قالا : أنا أبو الفرج بن الجوزى إذنًا ، أنا محمد ابن السراج ، أنا الجوهرى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن خلف ، أخبرنى إسحاق بن محمد ، حدثنى أبو معاذ النميرى ، قال : **لقى مجنون بنى عامر** الأحوص بن محمد الأنصارى ، فقال له : حدثنى حديث عروة بن حِزَام ، قال : فجعل الأحوص يحدثه وهو يسمع حتى فرغ من حديثه ، ثم أنشأ يقول :

١ - عجبتُ لعروةَ العذرىِّ أمْسَى أحاديثًا لقومٍ بعدَ قَوْم[2]

---

(١) ألية : يمن . والصَّدَفَيْن : مكان . ويراد بالصَّدَفين : ناحيتى الشعب ، أو الوادى ، وجاء فى المعجم الوسيط : الصَّدَف : إقبال إحدى الركبتين على الأخرى حين المشى ، وكل شىء مرتفع عظيم كالهدف والحائط ، والجبل ، والناحية ، وصَدَفا الجبل : جانباه المتحاذيان ؛ قال الله تعالى : ﴿ **حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا** ﴾ [الكهف : ٩٦] .

(٢) عروة بن حزام : عشق عفراء ابنة مالك العذريين ، وهما بطن من عذرة ، وكان عذرة يتيمًا فى حجر عمه فسأل عمه أن يزوجه عفراء فأخذ يسوف حتى خرج عروة فى سفر فزوجها ابن عم له .

٢ - وعروةُ ماتَ يومًا مستريحًا وهأنذا أموت بكل يوم !

□ حوار بين كثير عزة وعبد الملك بن مروان وأعشق الشعراء ! :

□ وبه إلى ابن خلف ، أخبرنى عبد الله بن محمد الطَّالَقانى ، أنا السَّرِيُّ بن يَحيى الأَزْدِيّ ، عن أبيه ، عن الفضل بن الحسن المخزومى ، قال : دخل « كُثَيِّر عَزّة » على عبد الملك بن مروان ، فجعل يُنشده شعرًا فى عَزّةَ وعيناه تَذْرِفَان !.

فقال له عبد الملك : قاتلَكَ اللهُ يا كثير ! هل رأيت أَحَدًا أعشق منك ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين ! خرجت مرة أسير فى البادية على بعير لى يوضع[1]، فبينا أنا أسير ، إذ رفع لى شخص فأممته[2]، فإذا رجل قد نصب شركًا للظِّباء وقعد بعيدًا منه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، فقلت له :

ما أجلسك هَاهُنَا ؟ فقال : نصبتُ شركًا للظباء فأنا أرصده . فقلت : إن أقمتُ لديك فصدتَ أطعمتنى ؟ فقال : إيهًا[3] والله .

قال : فنزلت وعقلت ناقتى وجلست أحدثه ، فإذا هو أحسن خلق الله حديثًا ، وأرقه وأجزله .

قال : فما لبثنا أن وقعت ظبية فى الشرك فوثب ووثبت معه ، فخلصها من الحبائل ، ثم نظر فى وجهها مَليًّا ، ثم أطلقها وأنشأ يقول :

١ - أيا شبهَ لَيْلَىٰ لن تُراعِى فإننى لك اليوم من بين الوُحُوشِ صديقُ
٢ - ويا شبهَ ليلى لن ترالى بروضةٍ عليك سحاب دائم وبُروقُ
٣ - فما أنا - إذْ أَشْبَهْتها ثم لم تَؤُبْ - سليمًا عليها فى الحياة شفيق
٤ - فَفِرّ فقد أطلقت عنكَ لِحُبّها فأنتَ لليلى ما حييت طليقُ

وروى فقرّ[4]، وزاد فى بعض أصحابنا بيتًا آخر وهو :

١ - فعيناكِ عَيْنَاهَا وجيدُكِ جِيدُها ولكنَّ عظمَ الساقِ منكِ دقيقُ

ثم أصلح شركه وعدنا إلى موضعنا . فقلت : والله لا أبرح حتى أعرفَ أمرَ هذا

---

(١) أوضع بعيره يوضع : حمله على السير السريع . (٢) أَمَمْتُه : قصدته .

(٣) إيهِ : اسم فعل للاستزادة من حديث أو عمل معهود . فإذا نونتها كانت للاستزادة من حديث أو عملٍ مّا . وتكون للإسكات والكف بمعنى حسبك . وتكون منصوبة فتقول : إيهًا لا تحدث .

(٤) الأولى من الفرار والثانية من القرار ، أى قَرّى عينا، وانعمى بحريتك ولا تراعى .

الرجل ، فأقمنا باقى يومنا فلم يقع لنا شيء ، فلما أمسينا قام إلى غار قريب من الموضع الذى كنا فيه ، وقمت معه فبتنا به ، فلما أصبح غدا فنصب شركه ، فلم يلبث أن وقعت ظبية شبيهة بأختها بالأمس ، فوثب إليها ووثبت معه ، فاستخرجها من الشرك ونظر فى وجهها مليًّا ، ثم أطلقها فمرت ، فأنشأ يقول :

١ - اذهبـى فى كَـلاءَةِ الرّحمٰـنِ أنتِ مِنِّـى فى ذمـةٍ وأَمَـانِ
٢ - ترهيبنى والجيد مـنك للـيلى والحشـا والبَغَـامُ والعينـان
٣ - لا تخافى بأن تُهَاجِـى بسـوء ما تغنى الحمام فى الأغصان ![1]

ثم عدنا إلى موضعنا فلم يقع فى يومنا ذلك شيء .

فلما أمسينا صرنا إلى الغار فبتنا فيه ، فلما أصبحنا غدا إلى شَرِكِهِ وغدوت معه ، فنصبه وقعدنا نتحدث ، وقد شغلنى - يا أمير المؤمنين - بحسن حديثه عن الجوع ، فبينا نحن نتحدث إذ وقعت فى الشرك ظبية ، فوثب إليها ووثبت معه ، فاستخرجها من الشرك ، ثم نظر فى وجهها وأراد أن يُطْلقها ، فقبضت على يده وقلت : ماذا تريد أن تعمل ؟ أقمت لديك ثلاثًا كلما صدت شيئًا أطلقته ! قال : فنظر فى وجهى وعيناه تذرفان وأنشأ يقول :

١ - أَتَلْحَى[2] مُحِبًّا هائمَ القلبِ أن رأى شبيهًا لمن يَهْواه فى الحبلِ مُوثقًا ؟
٢ - فلما دنا منه تَذَكّرَ شَجْـوَهُ وذَكّرَهُ مَنْ قَدْ نَـأَى فَتَشَوَّقـا

فرحمته - والله يا أمير المؤمنين - وبكيت لبكائه ، ونسبته ، فإذا هو « **قيس بن معاذ المجنون** » ، فذاك والله أعشق منى يا أمير المؤمنين[3].

□ وبه إلى أبى بكر بن المحب ، أنا المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا النرسى ، أنا التنوخى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن المرزُبان ، أنا محمد بن خلف ، أخبرنى أبو بكر العامرى ، عن عبد الله بن أبى كريم ، عن أبى عمرو الشَّيْبَانى ، عن أبى بكر الوالبى ، قال : ذكروا أن المجنون مر برجلين قد صادا عنزًا من الظباء وربطاها ، فلما نظر إليها دمعت عيناه ، وقال : يا هذان خَلِّياها ، فأبيا عليه ، فقال : لكما مكانها شاة

---

(١) روى هذه الأبيات الثلاثة ابن الجوزى فى « **ذم الهوى** » (ص ٣٠٣) .

(٢) أتلحى ؟: أتلوم ؟ .

(٣) ذكر قصة هذا الحوار بين كثير وعبد الملك حول أشعر الشعراء ابن الجوزى فى ذم الهوى (انظر ص ٣٠٢ وص ٣٠٣) .

من غنمى ، فقبلا منه ودفعاها إليه ، فأطلقها ودفع إليهما الشاة ، وأنشأ يقول :

١ - شَرَيْت بكبشٍ شبهَ ليلى ، ولو أبَوْا لأعطيت مالى من طريفٍ وتالدِ
٢ - فيا بائِعى شبهَ ليلى هَبِلْتُما وخنتما ما ناله كلُّ عابد[1]
٣ - فلو كنتما حُرّين ما بعتما معًا شبيهًا لليلى بيعة المتزايد
٤ - وأعْتَقْتُماهَا رغبةً فى ثوابِها ولم تَرْغَبا فى ناقصٍ غيرِ زائدِ
٥ - فلا ظَفَرت كَفّاكُما بكريمةٍ وجُنِّبْتُما ضرب الغَمَامِ الرَّواعِدِ[2]

وقال فى ذلك أيضًا :

١ - يا صاحبى اللذين اليوم قد أخذا فى الحبل شبها لليلى ثم شَدّاها
٢ - إنى أرى اليوم فى أعطاف شاتكما مشابهًا أشبهت ليلى فَحَلّاها
٣ - وأورداها غديرًا - لا عدمتكما - من ماء مُزْنٍ قريبٍ عندَ مرعاها

□ مجنون بنى عامر وذئب افترس ظبية :

□ وبه إلى ابن خلف ، أخبرنى أبو بكر ، أخبرنى عبد الله بن أبى كريمة ، عن أبى عمرو الشيبانى ، عن أبى بكر الوالبى ، قال : قال مجنون بنى عامر : بينما أنا ذات يوم قاعد إذ رأيت ذئبًا فَرسَ ظَبْيةً[3] فاتبعته ، فإذا هو رابض عندها يأكلها ، فرميته بسهم فما أخطأته ، ثم لحقته فقتلته وشققت بطنه وأخرجت ما كان فى بطنه من لحمها فدفنته وأحرقت الذئب ، وقلت فى ذلك :

أبى اللهُ أن تبقى لليلى بشاشة فصبرًا على ما شاء الله لى صبرا

□ الشىء بالشىء يُذكر :

□ وبه إلى ابن خلف ، قال : ومما يشبه هذه الأخبار فى تشبيه الظباء بالأحباب ، وإن لم يكن من أخبار المجنون ، ما :

حدثنا عمر بن شبة ، ثنا أبو غسان المدينى ، أخبرنى عبد العزيز بن أبى ثابت ، أخبرنى رجل من التجار قال : اشترى أبو زبان الهرمى ظبيًا بدرهمين ، ثم أخذ بيدى حتى إذا كنا بالحرَّة أطلقه ، وقال : ما كان لقوس أن يصيد شبه « أم سالم » ثم أنشأ

(١) هَبِلَ فلان هبلاً : فقد عقله وتمييزَهُ ، ويقال : هبلته أمه : فى معنى المدح والإعجاب فيراد به : ما أعلمه ، أو ما أصوب رأيه ، وليس هو المراد هنا .

(٢) ضرب الغمام : الضرب : المطر الخفيف ، وهو دعاء عليهم بالقحط والجفاف والحرمان من كل خير .

(٣) فرس ظبية : افترسها وصادها .

يقول :

١ - ألا يا غزالَ الرملِ من الصَّرايمِ ألا لا فقد ذكّرْتَنِى أمَّ سالمِ
٢ - كـذا الجيـد والعينـان منها وجوه اللثات وقد خالفَتْها فى القوائم

□ أيّا شِبْهَ ليلى ! :

□ وبه إلى ابن خلف ، أنشدنى محمد بن سعيد ، أنشدنى أبو عمر المازنى للمجنون :

١ - راحـوا يَصِيـدُون الظِّبـاء وإنى لَأَرَى تصيّدَهَا علىَّ حرام
٢ - أشْبَهَتْ مِنْكِ سوالفا ومحاجرا فلهـا علينـا حرمـةٌ وذِمَـامُ

وقال :

١ - أيا شبهَ لَيْلَىٰ إنّ لَيْلَىٰ مريضةٌ وأنتَ صحيح ؛ إن ذا لمحالُ !
٢ - أقول لظبى مَرّ بى وهو رَاتِعٌ : أأنت أخو ليلى ؟ فقال : يُقال
٣ - فإلا تَكُنْ لَيْلَىٰ غزالٌ بعينـه فقـد أشبهتْهـا ظبيـةٌ وغَـزَالُ

□ وبه إلى ابن خلف ، قال : أُنشدت للمجنون :

١ - أجـدت محاسـن كلمـا ضـنت محاسِنُـه بِحُسْنِـه
٢ - كادَ الغَـزَالُ يكونُهـا لـولا الشَّـوَى ونُشُـوزُ قَرْنِـه[1]

■ الفصل الحادى عشر ■
فى ذكر إلفها به

□ ألا ليت شعرى !! :

□ أخبرنا الكمال محمد بن حمزة الحسينى ، أنا أبو العباس بن الشريف ، أنا أبو حفص البالسى ، أنا أبو الحجاج المزى ، أنا أبو الحسن بن البخارى (ح) .

قال شيخنا : وأنا عاليًا أبو العباس بن عبد الهادى ، أنا أبو عبد الله بن أبى عمر ، عن أبى الحسن بن البخارى ، عن أبى الفرج البكرى ، أنا ابن ناصر ، أنا المبارك بن عبد الجبار ، أنا الجوهرى ، أنا ابن حيويه ، ثنا ابن خلف ، حدثنى قاسم بن الحسن ،

(١) الشَّوَى : أطراف الجسم ، ونشوز القرن : بروزه وظهوره وقريب منه قول الشاعر :
فعينـاك عيناهـا وجيـدُك جيدهـا غير أن عظم الساق منك دقيق

عن العمرى ، أنا الهيثم بن عدى ، أنا عثمان بن عمارة ، عن أشياخهم من بنى مرة ، قال : رحل رجل منا إلى ناحية الشام مما يلى تَيْماء ، والشّراة فى طلب بُغية له ، فإذا هو بخيمة قد رُفِعَت له ، وقد أصابه مطر ، فعدل إليها فتنحنح ، فإذا امرأة قد كلمته ، فقالت له : انزل . فنزل وراحت إبلهم وغنمهم ، فإذا أمر عظيم وإذا رِعاء كثير ، فقالت لبعض العبيد :

سَلُوا هذا الرجل من أين أقبل ؟!. فقلت : من ناحية اليمامة ونجد . فقالت : أى بلاد نجد وطئت ؟ فقلت : كلها . فقالت : عند من نزلت هناك ؟ قلت : ببنى عامر . فتنفست الصُّعْداء ، وقالت : بأى بنى عامر ؟ فقلت : ببنى الحريش . فاستعبرت[1]، ثم قالت : هل سمعت بذكر فتى يقال له « قيس » ، ويلقب بالمجنون ؟ فقلت : إى والله ، ونزلت بأبيه وأتيته حتى نظرت إليه يهيم فى تلك الفيافى[2]، ويكون مع الوحوش لا يعقل ولا يفهم إلا أن تُذكر له ليلى فيبكى وينشد أشعـارًا يقولها فيها . قال : فرفعت الستر بينى وبينها ، فإذا شقة قمر ، لم تر عينى مثلها ، فبكت وانتحبت حتى ظننت والله أن قلبها قد انصدع .

فقلت لها : أيتها المرأة اتقى الله ، فوالله ما قلتُ بأسًا . فمكثت طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب ، ثم قالت :

١ - ألا ليتَ شِعْرى - والخطوب كثيرة - متى رحلُ قيسٍ مستقلٌّ فراجع[3]

٢ - بنفسى من لا يستقلّ برحلـه ومن هو - إن لم يحفظ الله - ضائع

ثم بكت حتى غشى عليها ، فلما أفاقت ، قلت : من أنت يا أمة الله ؟ قالت : أنا ليلى المشئومة عليه ، غير المساعدة له . فما رأيت مثل حريقها عليه ووجدها به فمضيت وتركتها .

(١) استعبرت : بكت وسالت عبراتها . (٢) الفيافى : الصحارى جمع فيفاة .

(٣) من شعر ليلى العامرية ، وقد ذكر الإمام الوالبى هذين البيتين ومناسبتهما .

■ الفصل الثانى عشر ■

فى ذكر ذهابه فى تنشق الأخبار

□ أأترك ليلى ؟! :

□ أخبرنا أبو حفص عمر بن على بن الصيرفى ، أنا أبو الفرج بن الطحان ، أنا الصلاح بن أبى عمر ، أنا الفخر بن البخارى ، أنبأنا أبو الفرج الجوزى ، قال : قال ابن السراج ، أنا الجوهرى ، أنا أبو عمر الخزاز ، ثنا محمد بن خلف ، قال : قال العمرى : عن عطاء بن مصعب ، قال : خرج المجنون مع قوم فى سفر ، فبينا هم يسيرون إذ تشعبت بهم طريق إلى الماء الذى كانت عليه ليلى ، فقال المجنون لأصحابه : إن رأيتم أن تحطوا وترعوا وتنتظرونى حتى آتى الماء ، فأبوا عليه وعذلوه ، فقال لهم : أَنْشُدُكُم الله : لو أن رجلاً صحبكم وتحرم بكم فأضل بعيره ، أكنتم مقيمين عليه يومًا حتى يطلب بعيره ؟ قالوا : نعم . فقال : فوالله لليلى أعظم حرمة من البعير ، ثم أنشأ يقول :

١ – أأترُكُ ليلىٰ ليسَ بينى وبينَها ... سوى ليلة إلى إذن لصبور[١]

٢ – هَبُونى امرأ منكم أضَلّ بعيرَه ... له ذمةٌ إن الذمامَ كبير[٢]

٣ – ولَلصاحب المتروك أعظمُ حرمةً ... على صاحبٍ من أن يَضِلّ بعيرُ[٣]

٤ – عفا الله عن ليلى الغداة فإنها ... إذا وليت حكمًا علىَّ تجور[٤]

قال : فأقاموا عليه حتى رجع .

□ عفا الله عن ليلى ! :

□ وبه إلى ابن الجوزى[٥]، أنا ابن ناصر ، أنا الحميدى ، أنا أبو غالب بن بشران ، أنا أبو الحسين الكاتب ، أخبرنى الحسن بن على ، حدثنى عبد الله بن عمرو

---

(١) ذكر الإمام الوالبى فى ديوان المجنون هذه الأبيات وأضاف إليها بيتًا خامسًا وهو :

فما أكثر الأخبار أن قد تَزَوّجَتْ

فهل يأتينى بالطلاق بشير ؟!

(٢) أضل بعيره : فقده ، أو ضيعه . له ذمة : حق وحرمة . وجمعها ذِمام .

(٣) الصاحب المتروك : يعنى ليلى ، أعظم حرمة على صاحبه من ضلال البعير وتركه .

(٤) تجور : تظلم . (٥) رواية ثانية لمناسبة هذه الأبيات .

ابن أبى سعد ، ثنا على بن الصباح ، عن الكلبى ، قال : خرج المجنون فى عدة من قومه يريدون سفرًا لهم ، فمروا فى طريق يتشعب وجهين ، **أحدهما** : ينزله رهط ليلى وفيه زيادة مرحلة ، فسألهم أن يعدلوا معه إلى تلك الجهة ، فأبوا ، فمضى وحده وقال :

١ - أأترك ليلى ليس بينى وبينها ... سوى ليلة إلى إذن لصبورُ
٢ - هَبُونِى امرأً منكم أضل بعيرَه ... له ذمةٌ إن الذمامَ كبير
٣ - وللصّاحِبُ المتروك أعظم حرمةً ... على صاحب من أن يضل بعير
٤ - عفا الله عن ليلى الغداةَ فإنها ... إذَا وَلِيَتْ حُكْمًا علىَّ تجور

□ ديار ليلى ! :

□ **وقيل** : إنه كان يمر على ديارهم ويقول :

١ - أُمُرُّ على الدِّيَارِ ديارِ لَيْلَىٰ ... أُقَبِّل ذَا الجِدارَ وذَا الجدارَا
٢ - وما حُبُّ الدّيار أهاج وجدى ... ولكن حُبّ من سكنَ الديارا

□ أين الذين عهدتهم ؟! :

□ **وقيل** : إنه كان يسأل الرعاة عنهم أين نزلوا ويقول :

١ - سألت مَرَادَ الحىّ لَمّا رأيتُه ... وأخبرتُه ما قد جرى ودهانى[1]
٢ - وقلت له : أين الذين عهدتُهم ... ببطنك فى طيب وحُسْنِ أمان ؟!
٣ - فقال : مضوا واستقروا فى ديارهم ! ... ومن ذا الذى يبقى على الحدثان !!

وذلك أنهم كانوا قد نزلوا بجبل مراد .

□ هل أنت قيس بن معاذ ؟! :

□ **وقيل** : إنه خرج حتى جاء حيها فوقف وإذا فتى قد خرج فى طلبها ، فقال له : كذبت ، هل أنت قيس بن معاذ ؟ ارجع من حيث أتيت وإلا فإن ظفر بك الحى قتلوك ، فرجع وهو يقول :

١ - واخجلتى من وقوفى وسط داركم ... وقول واشيكم : من أنت يارجل ؟!
٢ - فقلت : حيرانُ قد ضلّ الطريق به ... ها فارشدونى فلى فى حَيِّكم شُغَل
٣ - فقال لى : مُرّ راجعًا فليس الطريق كذا ... كيف احتيالى وقد ضاقت بى الحيل ؟!

(١) المَراد : (بفتح الميم) مكان الارتياد وطلب الكلأ والمرعى . ومن يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث فهو رائد . ويقول ابن طولون : إنهم نزلوا بجبل « مراد » .

□ فرجع ، فمر براعٍ فنزل عنده ، فسقاه لبنًا ، فجعل يقول :

□ **وما الناس إلا العاشقونِ ! :**

١ – وما الناسُ إلا العاشقون ذَوُو الهوى ولا خيرَ فيمن لا يحبُّ ويعشقْ !
٢ – إذا المها قالت : وَعَيشِك إننا حِراصٌ على اللُّقيا ولا نتفَـرّق
٣ – فإن كنتَ مُشْتَاقًا فَسِرْ نحو بابنا فنحن إلى ما كـان من ذاك أَشْوَق

□ **أسـير الهـوى ! :**

□ **وقيـل** : إنه مر بطائفة من بنى عمها وهو يقول :

١ – وما بى إلا حُبُّ ليلى كفايـة جفونـا وإنى فى الهوى لأسير
٢ – فلا تقتلينى « أم مالك » عَنُـوة وأنت على عِتقى الغَداةَ قديـر
٣ – فيارب هَبْ نَفْسِى لِنَفْسِى وآونِى بلـيلى لتـجلى كربـة وزفير

□ **أجارتنا إن الخطوب تنوب :**

□ **وقيل** : إنه خرج مرة إلى جهم ، فنزل بامرأة يقال لها : « **سعاد** » ، فاختفى عندها فأحس بذلك أهلها ، فتقدموا إلى « **سعاد** » فى ذلك ، فجاءت إليه وحذرته وأخبرته أنها غريبة ، وأنها تخاف على نفسها أن يخرجوها من الحى أو أن يقتلوه عندها . فقال :

١ – فإن تُزَحْزِحينى عنك خِيفَةَ كاشحٍ بحالى، فإنى ما علمتِ كئـيب[1]
٢ – وقد حل بى ما كنتُ عنه بمعزل لحينى فموتى – يا سعادُ – قريبُ
٣ – وإن لُمْتَنى من جوابى صبابـة يقول لى الواشون : أنت مُريب
٤ – أجارتنا ؛ إن الخطوبَ تَنُـوبُ وإنِّىَ صب ما أقامَ عَسِـيبُ
٥ – أجارتنا إنا غريبـان هٰاهُنـا وكل غريبٍ للغريب نسـيبُ
٦ – غريب يقاسى الذلّ فى كلِّ بَلْدَةٍ وليس له فى العـانين حَبِـيبُ
٧ – فلا تسمعى فينا مقالة جاهـلٍ فربى – كما قد تعلمين – مُجيب

---

(١) كاشح : عدو .

□ إذا نظرت نحوى ..!! :

□ وقيل : إنه ذهب مرة فرآها و لم يقدر على كلامها ، فقال :

١ - إذا نظرت نحوى تكلم طَرْفُها وجاوبَها طَرْفى ونَحْنُ سُكوتُ
٢ - فواحدة منها تبشرُ باللِّقا وأخرى لها نفس تكاد تَمُوتُ
٣ - إذا مِتّ - خوفَ اليأسِ - أَحْيَانِىَ الرَّجَا فكم مرةٍ قَدْ مِتُّ ثم حَيِيتُ
٤ - ولو أحدقوا بىَ الإنسُ والجنُّ كلُّهم لِكَىْ يَمْنَعُونى أن أَجِىءَ لَجيت

□ ضعفت عن التسليم يوم وداعها ! :

□ وقيل : إنها اجتمعت به مرة ثم ودعته ، فقال :

١ - ضَعَفْتُ عن التَّسْلِيمِ يومَ وَدَاعِها فودَّعْتُها بالطرْفِ والعينُ تَدْمَعُ
٢ - وأُخرِسْت عن رَدِّ الجوابِ فَمَنْ رَأَى مُحِبّا بدمعِ العينِ قَلبى يُودّع
٣ - عليكِ سلامُ اللهِ مِنِّى تحيةً إلى أن تغيبَ الشمسُ من حين تطلع

□ ألا ليتَنى قد متّ شَوقًا !!:

□ وقيل : إنه قال مرة وقد رحلوا عن قربه :

١ - فما للنجوم الطالعات نحوسها علىّ ! أما فيها الغداةَ سُعودُ !!
٢ - ألا ليتَنِى قد مِتّ شَوْقًا ووحشةً بفقدِكِ ليلى والفؤاد عَمِيدُ
٣ - وإن تَبْعُدِى يا ليلَ أسأل عنكم ولكنّ حُبِّى والغرامُ جديدُ
٤ - وإن تَقْرُبِى يا ليلَ فالحبُّ صادِقٌ كما كان ينمو والنوالُ بَعِيد
٥ - وإن كان هذا البعد أخلف عهدكم فحبى لكم حتّى المماتِ يَزِيدُ

□ ألا قل لليلى ..! :

□ وقيل : إنها زارته مرة فأنشأ يقول :

١ - زها جسم ليلى فى الثياب كما زَهَا مع الغصن غُصْنٌ قد تَزَايَدَ عودُها
٢ - وما بال ليلى ليس تَخْلُص من دمى وتعلمُ أن النارَ حامٍ وقودُها ؟!
٣ - ألا قُلْ لِلَيْلَىٰ قد وهبتُ لها دَمِى وجُدْتُ بنفسى قد نَعَاها عَزِيزُها

■ الفصل الثالث عشر ■

فى عدم شعوره بالألم مع ذكرها وسؤاله القريب والبعيد بكل أمرها !

□ أخبرنا البرهان إبراهيم بن قاسم الدمشقى ، أنا أبو العباس الصالحى ، أنا الصلاح بن أبى عمر ، أنا الفخر بن البخارى ، أنبأنا أبو الفرج البكرى ، قال : روى العتبى ، قال : مر « **المجنون** » يومًا بـ « **زوج ليلى** »[1] وهو جالس يصطلى فى يوم شات فوقف عليه ، ثم قال :

١ - بِرَبّكَ هل ضممتَ إليك ليلى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أو قَبَّلْتَ فَاهَا ؟!

٢ - وهل رَفَّتْ عليك قُرُونُ ليلى رفيفَ الأقحوانة فى نداها ؟!

فقال : اللهم إذْ حَلَّفْتنى فنعم . فقبض المجنون بكلتى يديه قبضة من الجمر ، فما فارقها حتى خَرّ مغشيًا عليه ، فسقط الجمر مع لحم راحتيه !!

□ وقفة مع اللغويات فى البيتين السابقين :

قوله : « **وهل رَفّتْ** » - بالراء المهملة المفتوحة - ويقال : « **زُفَّتْ** » بالزاى المضمومة . و« **القرون** » : قرون الشَّعْر . و« **رفيف** » بالراء المهملة وروى بالزاى أيضًا . و« **الأقحوانة** » بضم الهمزة وسكون القاف وضم الحاء المهملة معروفة .

---

(١) جاء فى الأغانى أن ليلى تزوجت « **وردًا** » وحكى ذلك بقوله : لما شُهر أمر « **المجنون وليلى** » وتناشد الناس شعره فيها ، خطبها ورد بن محمد العُقَيلى وبذل لها عشرًا من الإبل وراعيها بينما كان قيس قد بذل خمسين ناقة حمراء ، فقال أهلها : نحن مخيروها بينكما ، فمن اختارته تزوجته ، ودخلوا إليها فقالوا : والله لئن لم تختارى « **وردًا** » لتمثلن بك ؛ فقال المجنون :

ألا يا ليلَ ؛ إن مُلّكتِ فينا خيارك فانظرى لمن الخيار ؟!

إلخ أربعة أبيات ، فاختارت « **وردًا** » فتزوجته على كُرْهٍ منها . والقرون : جدائل شعرها ، والأُقحوان نبات زهره طيب الرائحة كالعرار والخُزامى وما أشبه .

■ الفصل الرابع عشر ■

فى ذكر ما حَصَلَ له فى جُنونه من الصوت وذهابه مع الوحوش حتى جاءه الموت !

□ الشيخ « الملوّح » يبكى قيسًا !! :

أخبرنا التقى أبو بكر بن موسى الأنصارى ، أنا الزين بن الطحان ، أنا أبو عمر ابن قدامة ، أنا أبو الحسن السعدى ، أنبأنا أبو الفرج الحافظ ، أنا محمد بن عبد الباقى ، أنا على بن المحسن التنوخى ، أنا ابن حَيَوَيه ، أنا محمد بن خلف ، حدثنى عبد الله ابن عمرو ، ثنا على بن الحسن ، ثنا داود بن محمد ، عن عمرو بن رِزام ، قال : وفد فتى من نهد يقال له : « **صباح بن عامر** » على « **الملوح** » أبى قيس المجنون ، فسلّم عليه وخبره بنسبه ، وقال له : إنى قد وفدت من بلدى لأنظر إلى قيس وأسمع من شعره ، فما فعل ؟

فبكى الشيخ حتى غشى عليه ، ثم سكن وقال : أنّى لك بقيس ؟!، إن قيسًا عشق ابنة عم له ، وإنه جن على رأسها ، فهو لا يأنس بأحد ، يرد مع الوحوش يوم ورودها ، ويصدر معها إذا صدرت[1]، ولكن ها هنا شاب يذهب إليه فى كل وقت ، وهو يأنس به ، ويأخذ منه ما يقول ، وقد حفظ له قصيدة يقال لها : « **المؤنسة** » ، فإذا أنشده إياها أنس به وحدثه ، فإن شئت فصر إليه .

قال صباح : فصرت إلى الفتى ، فرحب بى وسألنى عن حالى ، فأخبرته ، فقال لى : أتروى لقيس بن ذَريح شيئًا ؟ فإن المجنون مستهتر بشعره ؟!

قلت : أنا أحفظ الناس لشعر قيس ، قال : فصر إلى موضع كذا وكذا فاطلبه فى تلك الفيافى[2] فإنك تجده ، واعلم أنه إذا رآك سوف ينفر منك ويهوى إليك بحجر ، فلا يهولنك واقعد كأنك لا تريده ، فإذا رأيته قد سكن فاذكر له « **ليلى** » ، فإنه سيرجع إلى عقله ويراجع صحته ويحدثك عن حاله ، ثم أنشِدْه من شعر قيس شيئًا فإنه مشغوف به .

---

(١) يرد : يقدم ، ويصدر : يرجع ويعود ، وأصله الورود على الماء والصدور عنه بعد الارتواء ، وفى تعبيراتنا الحديثة : الوارد والصادر .

(٢) الفيافى : الصحارَى الواسعة . جمع فيفاة .

قال صباح[1]: ففعلت الذى أوصانى به الفتى ، ولم أزل أطلبه حتى انتصف النهار ، فإذا أنا برجل عُريان قد سقط شعر رأسه على حاجبيه ، وإذا هو قد حظَّر حظيرة من تراب وهو قاعد فى وسطها ، وإلى جانبه أحجار وهو يخطط بإصبعه فى الأرض ، فلما رآنى أهوى إلى حجر وثب ليقوم ؛ فقعدت ناحية أرمى ببصرى إلى غيره ، ولا أحفل به ، ثم إنه رجع إلى عبثه وتخطيطه ، فقلت له : أتعرف ليلى ؟ قال : بأبى[2] والله هى ، فكيف لا أعرفها ؟

قلت : أحسن والله قيس بن ذَرِيح حيث يقول :

١ - وإنى لَمُفْنٍ دمــعَ عَينـَى بالبُكـا حِذارًا لما قد كان أو هو كائن
٢ - وقالوا غدًا أو بعد ذاك بليلةٍ فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ أو هو بائن
٣ - وما كنت أخشى أن تكون مَنِيَّتى بكفيكَ إلا أن مـا حُـمّ حائـن[3]

فقال : أنا والله أشعر منه حيث أقول :

١ - نَـغَبَ الغـرابُ بِبَيْـن ليلى إنــه كان الكتـاب بِبَيْنِهـا مَخْطُوطَـا
٢ - أصبحتُ من أهلى الذيـن أحبهم كالسهـم أصبـح ريشـه ممروطَـا[4]

ثم وثب مسرعًا إلى ظِباء سنحت له ، فغاب عنى فتبعته ، فجعلت أقفو أثره إلى آخر النهار ، فما وقعت عينى عليه !.

ثم غدوت فى اليوم الثانى فجعلت أطوف عليه فى تلك الفيافى ، حتى إذا جَنَّنِى[5] الليل انصرفت ، فلما كان فى اليوم الثالث طلبته ، فإذا أنا به عريان بين أحجار ميت !!!

□ نهايـة أيمـة !! :

□ وبه إلى أبى الفرج الحافظ ، أخبر ابن أبى منصور ، أنا أحمد بن محمد البخارى ، أنا الحسن بن على ، أنا ابن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، أنا أحمد بن الهيثم

---

(١) صباح بن عامر المتقدم ذكره . (٢) بأبى والله هى : أفديها بأبى !

(٣) حذارًا : خوفًا . منيتى : موتى . وذكر داود فى « **تزيين الأسواق** » فى مناسبة هذه الأبيات أن « **قيس ابن ذريح** » لما أزمعت لبنى على الرحيل بعد العدة جاء وقد قوض فسطاطها ، فسأل الجارية عن أمرهم ، فقالت : سَلْ « **لبنى** » ، فأتى إليها فمنعَه أهلها ، وأخبروه أنها غداة غد ترحل فسقط مغشيًا عليه ، فلما أفاق أنشد هذه الأبيات الثلاثة .

(٤) يقال : مَرِطَ الريش عن السهم : سقط . يعنى أنه أصبح مُجَرَّدًا من الأهل والأحباب كالسهم بلا ريش !.

(٥) جننى الليل : أظلم علىّ وأحاط بى الظلام .

القرشى ، ثنا العباس بن هشام ، عن أبيه **هشام بن محمد بن السائب** ، أن رجلاً من أهل الشام كان له أدب وأنه ذكر له المجنون فأخبر بخبره ، فأحب أن يراه وأن يسمع من شعره ، فخرج يريده حتى إذا صار إلى حيه سأل عنه ، فأخبر أنه لا يُؤْوِيه مكان ، وأنه يكون مع الوحش ، قال : فكيف لى بالنظر إليه ؟ قيل : إنه لا يقف لأحد حتى يكلمه إلا لـ « **داية** » له هى التى كانت ربته . فكلم « **دايَته** » وراسلها ، فخرجت معه تطلبه فى مظَانّه التى كان يكون فيها فى البرّية ، فطلبوه يومهم ذلك فلم يقدروا عليه ، ثم غدوا فى اليوم الثانى يطلبونه ، فبينما هم كذلك إذ أشرفوا على وادٍ كثير الحجارة ، وإذا به فى ذلك الوادى بين الحجارة ميتًا[1]!، فاحتمله الرجل « **ودايتُه** » حتى أتيا به الحى فغَسّلوه وكَفّنوه ودفنوه . **فقال الرجل** : قد كنت أقدر أن أسمع منه شيئًا من شعره ، فأنشدوه أشياء سألهم فى إنشادها له فكتبها وانصرف .

□ وحكاية أخيرة ذكرها كثيّر ! :

□ وقد حكى فيه غير ذلك ، فذكر أن كُثَيِّرًا[2] قال : بينما أنا عند « **مجنون بنى عامر** » إذ مر راكب ، فقال : تَعَزّ يا قيس !، قال : عمن ؟! قال : عن « **ليلى** » .

فقام إلى بعيره وقمت إلى بعيرى ، ثم أتينا الحى فأرشدنا إلى قبرها ، فأقبل يقبله ويلتزمه ويَشَمّ تُرابَه ويُنْشد الشعر ، ثم شهق فمات ، فدفنته !.

---

(١) يرحمه الله ! كم تسعدنا ذكراه ، وتُمْتِعُنا أخبار حبه وهواه !، وتحلق بنا أشعاره فى كل اتجاه !.

(٧) هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن قد أوصله الكلبى فى جمهرة النسب إلى « **ماء السماء بن حارثة** » المشهور أحد أولاد الأزد . وهو صاحب عزة بنت جميل عَلِقَها جَارِيةً قد كَعَبَتْ نُهودُها ، وله فى عزة أشعار كثيرة .

■ الفصل الخامس عشر ■

فى اقتداء العشاق بالمجنون
وما وقع لهم من الأخبار والفنون

١ – ابن أبى مالك :

□ أخبرنا أبو محمد عبد القادر بن محمد الصالحى ، أنا أبو عبد الله المعمار ، أنا أبو بكر بن المحب ، أنا المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا النرسى ، أنا التنوخى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن المرزبان ، حدثنى محمد بن الفضل ، عن أحمد بن محمد الأزدى ، عن « **عبد الله بن همام** » ، قال :

خرجت أريد بعض الحوائج ، وإذا أنا بـ « **ابن أبى مالك** » وهو قاعد فى الصحراء بين الحِيرةِ والكوفةِ ، فقلت : ما تصنع ها هنا ؟

قال : أصنع ما كان صاحبُنا يصنع .

قلت : ومن صاحبكم ؟ قال : « **مجنون بنى عامر** » صاحب ليلى ، قال : وإلى جنبه حجر ، فتناوله وعدا خلفى ، فتجاوزنى[1] الحجر ، وعُدْتُ فقعدت بعيدًا منه ، قال : فقال لى : والله ما[2] أحسنَ ولا أجملَ حيث يقول :

عَلِقْتُكِ إذْ عَينى عليها غِشَاوَةٌ فلما انجلت قطّعت نَفْسى أَلُومُها

ما له لم يقل كما قلت :

١ – رمانى الهوى منه بأعظم شجوة وعَسْكَر حَوْلى البحرُ دونَ حبيبِ

٢ – فصبرًا لعلّ الدهرَ يجمع بَيْنَنا بإلف حبيبٍ ، أو بموتِ رَقيبِ

قال : ثم نقول ما هو أحسن من هذا : لا إله إلا الله الواحد الأحد ، علا فقدر ، وحَكَمَ فعدل .

□ *ابن أبى مالك وعبدالله بن إدريس :*

□ وبه إلى ابن المرزبان قال : وحدثنى العباس بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى ، حدثنى أبى ، قال : سمعت « **عبد الله بن إدريس** » يقول :

---

(١) تجاوزنى : تخطانى ، ولم يصبنى .

(٢) ما : نافية .

رأيت « **ابن أبى مالك** » جالسًا فى موضع قد كان فيه رَماد ، ومعه قطعة جِصّ[1] يخطط بها ، ويستبين بياض الجص فى سواد الرماد ، فقلت له :

يا ابن أبى مالك ، ما تصنع ؟ قال : ما كان صاحبنا يصنع – يعنى « **مجنون بنى عامر** » ، قال : قلت : وما كان يصنع ؟ قال : أما سَمِعْته يقول :

١ – عَشِيّةَ مالِى حيلةٌ غيرَ أنَّنِى بلقط الحَصَى والخَطّ فى الدار مولع
٢ – أُخطّ وَأَمْحُو كُلّ ما قد خَطَطْتُه بدمعى والغِربَانُ فى الدارِ وُقَّع

قلت : ما سمعته . قال : فتضاحك ، ثم قال : أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل** ﴾ [الفرقان : ٤٥]أفسمعته أو رأيته يا ابن إدريس ؟ هذا كلام العرب .

٢ – رجل من أهل البصرة وابنة عمه :

□ وبه إليه قال : وحدثنى محمد بن الفضل ، حدثنى بعض أهل الأدب ، عن محمد بن أبى نصر الأزدى ، قال : رأيت بالبصرة مجنونًا قاعدًا على ظهر الطريق بالمِرْبَد[2]، فكلما مر به ركب قال :

١ – أَلَا أَيُّهَا الرَّكْبُ اليمانون عَرِّجُوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
٢ – أُسَائِلُكُمْ هل سالَ نَعمانُ بَعْدَنَا وحُبّ إلينا بَطْنُ نَعْمَان وَادِيا[3]

قال : فسألت عنه ، فقيل : هذا رجل من أهل البصرة كانت له ابنة عم وكان يحبها فزوجوها رجلاً من أهل الطائف فنقلها فاستوْلَه[4] عليها كالمجنون من بنى عامر .

٣ – عكرمة يصيبه داء قيس :

□ وبه إليه قال : وأخبرنى أحمد بن معاذ بن يزيد الكنانى ، حدثنى محمد بن زياد الأعرابى ، قال : رأيت بالبادية أعرابيًا فى عنقه تمائم[5] وهو عريان ، وعلى سَوْءَته

(١) الجِصّ : من مواد البناء يطلى به بعد أن يطفأ بالماء ويريد : « **الحجر الجيرى قبل أن يطفأ بالماء** » حيث يكون متماسكًا صلبًا يصلح للكتابة على الأرض .

(٢) المِربَد : (بكسر الميم وفتح الباء) هو فى الأصل موقف الإبل ومَحْبِسها ، وبه سُمّى « **مِرْبَد البصرة** » كان سوقًا للإبل ، وكان الشعراء يجتمعون فيه وهو المراد هنا .
ويطلق المربد على ما يجفف فيه التمر والجمع مرابد .

(٣) ذكر الوالبى هذين البيتين ضمن قصيدة من اثنى عشر بيتًا ، ونسبها إلى « **مجنون بنى عامر** » .

(٤) استوله : أصابه الوله وهو – كما جاء فى الصحاح – ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد .

(٥) التمائم : جمع تميمة ، وهى ما يعلق فى العنق لدفع العين .

خِرقة ، وفى رجله حبل ، وخلفه عجوز ممسكة بطرف الحبل ، وإذا هو يَعَضّ ذراعيه ، فقلت للعجوز : من هذا ؟ فقالت : ابنُ بِنْتى .

فقلت لها : ما حاله ؟ أبِه مس من الجن ؟

قالت : لا والله ولكنه نشأ و« **ابنةَ عمٍّ له** » فى مكان واحدٍ فَعَلِقها وعلقته ، فحبسها أهلُها عنه ومنعوه منها ، فزال عقله وصار إلى ما ترى كَـ « **مجنون بنى عامر** » .

فقلت لها : ما اسمه ؟ فقالت : « **عِكْرِمَة** » . فقلت : يا عكرمة ما أصابك ؟ فقال :

أصابنى داء « قيس » و« عروة » و« جميل » فالجسم مِنِّى نحيلٌ ، والفؤاد عليل (١)

قال : فتركته ومضيت .

٤ – الذين يموتون من الحب ! :

□ وبه إليه ، قال : وحدثنى هارون بن محمد ، أخبرنى أبو عبد الله القرشى ، قال : حدثنى الحكم ، قال : قيل « **لرجل من بنى عامر** » : هل تعرفون فيكم المجنون الذى قتله الحب ؟ قال : إنما يموت من الحب هذه اليمانية الضعاف القلوب !

قال : وقال محمد بن جعفر : أنشدنى المارستانى :

١ – إذا قربت دارًا كَلِفْتُ وإن نَأَتْ أَسِفْتُ فَلَا بالقُرْبِ أَسْلُو ولا البعد (٢)

٢ – وإن وعدت زاد الهوى لانتظارها وإن بخلت بالوعد مِتّ على الوعدِ

٣ – ففى كلِّ حبٍّ لا محالةَ فَرْحَةٌ وحُبُّكِ ما فيه سرى محكم الجهد

وقد زاد بعضهم :

٤ – وقد زَعَمُوا أَنّ المُحِبّ إذَا دَنَا يُمَلّ وأن النأْىَ يَشْفِى من الوَجْدِ

٥ – بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فلم يُشْفَ مَا بِنَا على أن قرب الدارِ خَيْرٌ مِنَ البُعدِ

وروى على ذلك : * **قرب الدار خير من البعد** * .

وزاد بعضهم :

٦ – على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه لَيْسَ بِذِى وُدّ

---

(١) قيس وعروة معروفان أما جميل فقد أحب بثينة .

(٢) ذكر الوالبى هذه الأبيات الستة ضمن قصيدة من اثنى عشر بيتًا ونسبها إلى المجنون ما عدا البيت الثالث وقدم البيت الثانى على الأول مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

□ وأخبرنا الشهاب أحمد بن حسن بن المبرد ، أنا أبو عبد الله بن جوارش ، أنا أبو بكر ابن المحب ، أنا والدى ، أنا ابن أبى عمر ، أنا ابن الجوزى ، أنا المبارك بن على ، أنا ابن العلاف ، أنا عبد الملك بن بشران ، أنا أحمد بن إبراهيم الكندى ، ثنا محمد بن جعفر ، أنشدنى الصَّيْدَلَانى لنَفْسِه :

قَالَتْ جُنِنْتَ على رأسى فقلت لها : العشق أعظم ما بالمجانين
العشق ليس يفيق الدهرَ صاحبُه وإنما يُصْرَع المجنونُ فى الحين[1]

(١) وفى رواية الوالبى : « **قالوا جننت بمن تهوى** » وقد ذكر ابن القيم هذين البيتين دون نسبة فى « **روضة المحبين** » . ويراد بالحين : الوقت طال أو قصر .

obeikandl.com